سلسلة

المرأة في الأدب العربي

(٤)

طرائف المرأة

إعداد

إيهاب صبيح محمد زريق



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كتبت المرأةُ على صفحات تاريخ البشرية أسطراً من نـــور، وأمجــاداً لا حصر لها، وضُرب بهن الأمثال، وذكر الله تعالى عفافهن في القرآن الكريم فقــال: "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصـــدقت بكلمـــات ربها وكتبه وكانت من القانتين[1]"؛ وكيدهن فقال: "قال رب السجن أحبّ إلـــيَّ ممـــا يدعونني إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصبَ إليهن وأكن من الجاهلين* فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم[2]". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن: "استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان[3]عندكم".

وجاء في الأثر: "النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر، والنظر إلى الوجه القبيح يُورِثُ الفلج[4]". ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مِنْ عشق فعفَّ فمات فهو شهيد[5]"، وقال صلى الله عليـــه وسلم: "إن من البيان لسحرا[6]".

وقيل أن عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليس وهو يسوق أربعة أحمـــرة عليها أحمال، فسأله فقال: أحمل تجارة وأطلب مشترين.

فقال: ما أحدها؟

قال: الجور[7].

قال: مَنْ يشتريه؟

---

[1]- سورة التحريم، الآية (١٢).

[2]- سورة يوسف، الآيات (٣٣-٣٤).

[3]- عوان: أي أسيرات عندكم.

[4]- الفلج: نوع من الشلل. أنظر أخبار النساء لابن الجوزي ص٢٤.

[5]- ذكره الشوكاني في "الفوائد المجموعة" ص٢٥٥، الحديث رقم ١١٤.

[6]- أخرجه أحمد في "المسند" ج١ ص ٣٠٩.

[7]- الجور: الظلم.

قال: السلاطين.

قال: ما الثاني؟

قال: الحسد.

قال: فمنْ يشتريه؟

قال: العلماء.

قال: فما الثالث؟

قال: الخيانة.

قال: فمنْ يشتريها؟

قال: التجار.

قال: فما الرابع؟

قال: الكيد.

قال: فمن يشتريه؟

قال: النساء[٨].

ورصد فحول الأدباء من أمثال ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد"، والأصفهاني في "الأغاني"، وابن القيم الجوزي في "أخبار النساء"، وابن طيفور في "بلاغات النساء"، والمسعودى في "مروج الذهب"، والثعالبي في "فقه اللغة وأسرار العربية"، والأبشيهي في "المستطرف"، وابن قتيبة في "عيون الأخبار"، وغيرهم من الأدباء حياة المرأة، فسجلوا حلوها ومرها، ودوّنوا طرائف النساء وبلاغتهن، وفائهن وغدرهن، عفتهن وعشقهن، ووصفوا حُسْنهن وجمالهن، وساقوا في ذلك القصص والحكايات والأخبار في كتبهم.

ولأن كل كتاب من هذه الكتب اشتمل على مواقف معينة من حياة المرأة دون غيرها، ولم يضم أيًّا منها بين ضفتيه هذه المواقف مجتمعة في كتاب، فقد رأيت أن أقوم بجمع شتات ما كتبه أساطين الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى

---

[٨]- المستطرف ج٢ ص ٣٥٤ – ٣٥٥.

العصر الفاطمي والمملوكي في سلسلة واحدة متحرياً فيما كتبت دقة النقل، وإيضاح المعاني الخفية والغريبة من ألفاظ اللغة، ومترجماً لكثير من أعلام الرجال والنساء الوارد ذكرهم في كتب السلسلة، ومراعياً أيضاً حذف ما يخدش الحياء من ألفاظ، وما يثير الغلمة[9] من عبارات. ومن ثمَّ لم أُورد القصص التي تحتوى على وصف فاضح للمرأة كوصف الشاعر النابغة الذبياني "للمتجردة" امرأة النعمان بن المنذر في كتاب "العقد الفريد".

وقد قسمت هذه السلسلة إلى أربعة كتب ضمّنت كل كتاب منها أبواباً متناسقة ومتجانسة مع بعضها البعض، وذكرت فيها جميعاً قصصاً وحكايات وأخباراً وأقوالا ونوادر لعبت المرأة فيها إلى جانب الرجل دوراً رئيسياً، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بعواطف المرأة والرجل لأن كلاً منهما مكمل للآخر، وتوخيت أن أختار من كل ذلك ما فيه المتعة والفائدة قدر الإمكان.

يتضمن الكتاب الأول ستة أبواب تنم عناوينها على مضمونها، فالباب الأول في "وصف المرأة" ويشمل ما قيل في أوصاف المرأة المحمودة، وشرار النساء، وأنواع النساء، والحُسْن والجمال في المرأة... فقد أحبَّ العرب الجمال لأنهم يحسون بالحلاوة والعذوبة إحساساً غامضاً لا يقيده قيود ولا تحصره حدود كسواهم من الشعوب التي أُغرمت بالجمال، واتفقوا على أصول معينة للجمال تعارفوا عليها وألحقوا بالأصول فروعاً تتفق وأذواق الأفراد، فلا يكتمل مصنف من كتب الأدب ما لم يضم بين دفتيه شعراً أو نثراً، مقتبساً من أساطين الأدب، أو منقولاً عن الاختصاصيين في فنون الجمال الذين خبروه نظرياً وعملياً، وأدركوا مدى كل صفة من الصفات وميزة من الميزات[10]. ونحن في هذا الباب ندخل الخِدر[11] العربي ونتفحص هذه المرأة عن كثب[12]، نتبين تقاسيم الجمال فيها. والباب الثاني في "غيرة

---

[9]- الغلمة: الشهوة.

[10]- انظر كتاب "الجواري" للدكتور جبور عبد النور.

[11]- الخِدر: الستر.

[12]- عن كثب: عن قرب.

المرأة"؛ وما أكثر القصص التي تُروى في ذلك كغيرة الضرائر! والباب الثالث في "وفاء المرأة"؛ ويحوي كل قصص النساء اللاتي حفظن عهدهن بالوفاء وأغرب القصص التي رُويت في ذلك كوفاء الضرائر. وعلى نقيض ذلك كان موضوع الباب الرابع في "النساء اللاتي نقضن العهد بالوفاء"؛ وهن نساء لم تتمكن من الوفاء بعهودهن لأزواجهن لسبب أو لآخر. وأنهيت الكتاب الأول بباب في "غدر النساء" ، وباب في "كيد النساء"؛ وهما بابان مترابطان معاً، وقد رأيت أن أفصل بينهما لما يتضمنه باب الكيد من حيل ومكائد لا تخطر على قلوب أولى الألباب من الرجال؛ ولكن تلك هي المرأة.

ويتضمن الكتاب الثاني باباً في "عفة المرأة" وباباً في عشقهن بعنوان "نساء عاشقات". وقد اكتفيت بهما لما ذكرت من قصص العفاف، وحكايات الحُب العفيف أو الحُب العذري عند العرب، وهو حبٌّ أُغرم به العربي بعيداً عن شهوة الجسد ومفاتن المرأة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سمو الرجل العربي بخلاف الافتراءات التي يُرمى بها. وسردت في هذا الباب قصصاً كثيرة تكشف عن أعماق النفس الإنسانية عند الرجل والمرأة معاً، والتي حدَّ المجتمع وتقاليده في أحيان كثيرة من ظهورها بشكلٍ واضحٍ وجلي نظراً للفروقات الطبقية وللمقامات المؤثرة وللحدود الشرعية التي تفرض على العشاق قيوداً لا يمكن تجاوزها. وبدأت الباب بمقدمة مفصلة عن العشق وما قيل في الهوى والجوى ونبذة عن قبيلة بنى عذرة التي اشتهرت بالحبّ العذري وعُرف باسمها، ورويت أشهر قصص العشاق من أمثال: بثينة وجميل، عزَّة وكُثَيِّر، فوز والعباس ابن الأحنف، ليلى العامرية والمجنون، ليلى الأخيلية وتوبة بن الحمير، ليلى والصحصاح، لبنى وغانم، مي ومضاض ، سلامة الزرقاء والقس، ريا وعمرو بن عود، ريا وعتبة بن الحباب، عقيلة وعمرو بن كعب، عنتر وعبلة، عفراء وعروة، أسماء والمرقش الأكبر، صفوة وإياس، أمّ البنين ووضَّاح اليمن، محبوبة والمتوكل، حبابة وعبد الملك بن مروان، وعنونت كل قصة بأسماء طرفيها إن ذكراً في كتب الأدب، أما باقي

القصص فعنونتها بألفاظ أو عبارات وردت بها، شأنها في ذلك شأن القصص التـــي ذُكرت في جميع أبواب السلسلة، وأنهيت هذا الباب بقصص العشق الإلهي.

والمرأة على امتداد تاريخ العرب كم أثارت من فتنة، وكم أشعلت من حرب ضروس أُريقت بها دماء وأزهقت أرواح، وكم ساهمت في بناء وتعمير وتشييد أو هدم وتدمير وخراب صروح، وكم سادت من حضارات أو بادت بسبب منها، وكـــم هدمت من صوامع وبِيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، وكـــم مـــن خليفة انشغل عن أمور الخلافة بجارية أخذت بعقله وسيطرت على تفكيـــره حتـــى مات كمدا عليها، وكم نظمت من الشعر وخاضت بحوره، وكم نطق لسانها بعبارات البلاغة والفصاحة والبيان... تلك الأدوار التي لعبتها المرأة هي موضـــوع البـــاب الأول من الكتاب الثالث، وبلاغتهن هي موضوع الباب الثاني منه.

وأنهيت هذه السلسلة بكتاب يتناول طرائف النساء والجواري والأعرابيات ... حكايات ممتعة ومواقف نادرة، ولطائف ندية خفيفة الدم والروح، تـــروِّح عـــن قلب الإنسان وتخفف عنه متاعب الحياة وهموم الدنيا... نوادر في الحُسْن والجمال، والقبح، والدمامة، والزواج، والجماع، والطلاق، والبخـــل، والمأكـــل والمـــشرب، ونوادر تنم عن ذكاء المرأة وخفة دمها. ويعد هذا الكتاب بداية لسلسلة جديـــدة لنـــا بعنوان "النوادر والطرائف والظرفاء" سوف يتم نشرها عقب هذه السلسلة إن شـــاء الله.

والجدير بالذكر أنني لم أتعرض من قريب أو من بعيد لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، فهن أمهات المؤمنين وأطهر وأجلّ وأعظم من أن أضعهن جنبـــاً إلـــى جنب مع غيرهن من النساء، وحقهن إن أراد كاتبُ أن يخط بيمينه شيئاً من ذكرهن أن يخصص لهن كتاباً أو كتباً بذاتها.

وتبقى المرأة هي المرأة، مخلوقاً له عالمه الخاص، وتراثاً كاملاً من القـــيم الإنسانية، وسلسلة متصلة الحلقات من مشاعر الحبّ والعشق وعواطف الإعراض والصد والجفاء أو عواطف الإقبال والوفاء، ووجهاً من وجوه الحيـــاة والمـــصير،

ودنيا مليئة بالوعي وزاخرة بالمشاعر، سلوة الرجل، وغذاءه الروحي والجـــسدي، ونصفه الذي لا يكتمل بدونه، بقربها تصفو الحياة ويصلح العمر.

إنَّ هذه السلسلة جهدٌ متواضعٌ أضعها بين يدي القارئ الكريم راجياً أن يجد فيها المتعة والفائدة المرجوة.

والله من وراء القصد ،،،،،

إيهاب زريق

الباب الأول

طرائف المرأة

اضربي بخمارك

*قال الزبير بن بكار: حدثنا مصعب الزبير، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الحسن قال: خرج أبو حازم[1] يرمي الجمار ومعه قوم متعبدون وهو يكلمهم ويحدثهم ويقصّ عليهم. فبينما هو يمشي وهم معه إذ نظر إلى فتاة مسندة بخمارها ترمي الناس بطرفها يمنة ويسرة، وقد شغلت الناس وهم ينظرون إليها مبهوتين، وقد خبط بعضهم بعضا في الطريق فرآها أبو حازم فقال: يا هذه اتقي الله فإنك في مشعر من مشاعر الله عظيم، وقد فتنت الناس، فاضربي بخمارك علي جيبك فإن الله عز وجل يقول: (وليضربن بخمرهن علي جيوبهن[2]) . فأقبلت تضحك من كلامه وقالت: إني والله

من الّلاء لم يحْجُجن يبغين حسْبة ولكن ليقتلن البريءَ المغفَّلا[3]

فأقبل أبو حازم علي أصحابه وقال: تعالوا ندعو الله أن لا يعذب هذه الصورة الحسناء في النار، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون[4].

أنت الحسن إذن!

*وقال أبو نواس: استقبلتني امرأة فأسفرت عن وجهها فكانت علي غاية الحُسْن فقال: ما اسمك؟

قلت: وجهك.

فقالت: أنت الحسن إذن[5].

اصعد أنت!

*وقال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأة طويلة جدا ونحن علي طعام فأردت أن أمازحها، فقلت: انزلي حتى تأكلي معنا.

قالت: وأنت فاصعد حتى ترى الدنيا[6].

---

[1]- أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين ومن رواة الحديث.

[2]- سورة النور ، الآية (١٣).

[3]- الحسبة : الأجر والثواب ، والبيت للعرجي.

[4]- روضة المحبين ص(٢٢٦) ، وانظر: عيون الأخبار ج ٤ ص ٢٩.

[5]- الأذكياء ص٢١٩.

[6]- المرجع السابق ص ٢١٧.

صاعقة

*وقيل أنه حجَّ مع ابن المنكدر شابان، فكانا إذا رأيا امرأة جميلة قالا: قد أبرقنا، وهما يظنان أن ابن المنكدر لا يفطن، فرأيا قُبَّة فيها امرأة فقالا: بارقة وكانت قبيحة، فقال ابن المنكدر: بل صاعقة.

جئنا نقتبس من وجهك مصباحا

*وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجهاً. حكى أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة إذ جاءت امرأة فوقفت تنظر إليه، فقال لها: ما وقوفك يرحمك الله؟ فقالت: طُفيء مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا[1].

ألست صاحبي؟

*روى ابن عبد ربه في "العقد الفريد"، قال:

قال الحسن بن هانئ: حججت مع الفضل بن الربيع حتى إذا كنا ببلاد فزارة- وذلك إبان الربيع- نزلنا منزلا بإزاء ماء لبني تميم ذا روض أريض ونبت غريض، تخضع لبهجته الزرابي المبثوثة، والنمارق[2] المصفوفة، فقرّت بنضرتها العيون وارتاحت إلى حُسنها القلوب، وانفرجت لبهائها الصدور، فلم نلبث أن أقبلت السماء فانشق غمامها وتدانى من الأرض ركامها حتى إذا كانت كما قال أوس بن حجر حيث يقول:

دانٍ مسفّ فويق الأرض هَيدبُه   يكاد يدفعه من قام بالراحِ[3]

همت برذاذ، ثم بطش، ثم برش، ثم بوابل[4] ثم أقلعت وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق والقيعان تتألق رياض مونقة ونوافح من ريحها عبقة، فسرحت طرفي راتعا منها في أحسن منظر، ونشقت من رباها أطيب من المسك الأذفر[5].

قال: فلما انتهينا إلى أوائلها إذا نحن بخباء علي بابه جارية مشرقة ترنو بطرف مريض الجفون وسنان النظر أشعرت حماليقه فترة، وملئت سحرا فاستقاها، فقالت: نعم ونعمى عين، وإن

---

[1]- المرجع السابق ج ١ ص ٣٦٧.

[2]- النمارق : جمع نمرق، ونمرقة وهي الوسادة .

[3]- الراح : باطن الكف.

[4]- الوابل : المطر الشديد.

[5]- المسك الأذفر : الطيب الرائحة (من أسماء الضد) .

نزلتم ففي الرحب والسعة، ثم مضت تتهادى كأنها خوط بان، أو قضيب خيــزران، فراعنـــي مـــا رأيت منها، ثم أتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه علي يدي.

ثم قلت وصاحبي أيضا عطشان، فأخذت الإناء، فذهبت به فقلت لصاحبي مــن ذا الــذي يقول:

إذا بارك الله في ملبس   فلا بارك الله في البُرْقعِ

يُريك عيون الدّمى غِرّة   ويكشف عن منظر أشنعِ

قال: وسمعت كلامي فأتت وقد نزعت البرقع ولبست خمارا أسود وهي تقول:

ألا حيّ ربْعي معشر قد أراهما   أقاما فما أن يعرفا مُبتغاهما

هما استقيا ماء علي غير ظمأةٍ   ليستمتعا باللّحظ ممن سقاهما

فشبهت كلامها بعقد درّ وهى فانتثر، بنغمة عذبة رقيقة رخيمة لــو خوطــب بهــا صــمَّ الصلاب لانبجست مع وجه يظلم من نوره ضياء العقول وتتلف من روعته مهج النفوس، وتخــف في محاسنه رزانة الحليم وتحار في بهائه طرف البصير، فرقت وجلت، واستبطرت وأكملت، فلــو جُنّ إنسان من الحُسْن جننت، فلم أتمالك أن خررت ساجدل فأطلت من غير تسبيح.

فقالت: ارفع رأسك غير مأجور لا تذم بعدها برقعا، فلربما انكشف عما يصرف الكــرى، ويحل القوى، ويطيل الجوى من غير بلوغ إرادة، ولا درك طلبه ولا قضاء وطر، ليس إلا الحــين المجلوب والقدر المكتوب والأمل المكذوب!

فبقيت والله معقود اللسان عن الجواب حيران لا أهتدي لطريق فالتفت إليّ صاحبي فقــال: ما هذا الجهد بوجه برقت لك منه بارقة لا تدرى ما تحته، أما سمعت قول ذي الرمة[1]:

علي وجه مي مسحة من ملاحة   وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت: أما ما ذهبت إليه فلا أبا لك، والله لأنا بقول الشاعر:

منعمة حوراء يجري وشاحها   علي كشح مرتج الروادف أهضم[2]

لها أثر صاف وعين مريضة   وأحسن إيهام وأحسن معصم

خزاعية الأطراف سعدية الحشا   فزارية العينين طائية الفم

... أشبه من قولك الآخر ثم رفعت ثيابها حتى بلغت بها نحرها. وجاوزت منكبيهــا، فــإذا قضيب فضة قد أُشرب ماء الذهب يهتز مثل كثيب نقا[1]، وصــدر كالوذيلــة، عليــه كالرمــانتين،

---

[1]- هو صاحب مي المنقرية .

[2]- الكشح : الخصر.

وخصر لو رُمت عقده لانعقد، منطوي الإندماج علي كَفل[2] رجراج، وسرُة مستديرة يقصر فهمـي عن بلوغ نعتها من تحتها... [3]، وفخذان مدملجان، وساقان خدلجان يخرسان الخلاخيل، وقـدمان كأنهما لسانان، ثم قالت: أعارا ترى، لا أبا لك؟

قلت: لا والله ولكن سبب القدر المتاح ومقربي من الموت الذباح يضيق علـي الـضريح ويتركني جسدا بغير روح٠ فخرجت عجوز من الخباء، فقالت له: امض لشأنك فإن قتيلها مطلـول لا يودي[4] وأسير مكبول لا يفدى!

فقالت لها: دعيه فإن له مثل قول غيلان:

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليلا فإني نافع لي قليلُها

فنحن كذلك حتى ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل وكرب خابل، وأنا أقول:

يا حسرتا مما يجن فؤادي أزف الرحيل بعبْرتي وبعادي

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حُسْنه وتمت بهجتـه فقلت لصاحبي: امض بنا إلى صاحبتنا٠

فلما أشرفنا علي الخيام وصعدنا ربوة نزلنا، وهذه إذا هي تتهادى بين خمس ما تـصلح أن تكون خادما لأدناهن، وهن يجنين من نور ذلك الزهر٠ فلما رأيننا وقفنا وقلنا: الـسلام علـيكن٠ فقالت من بينهن: وعليك السلام ألست صاحبي؟ قلت: بلي. قلن: وتعرفينه؟ قالت: نعـم٠ وقـصت عليهن القصة ما خرمت حرفا٠

قلن لها: ويحك! ما زودته شيئا يتعلل به. قالت: بلي زودته لحدا ضامرا وموتـا حاضـرا! فانبرت لها أنضرهن خدا وأرشقهن قدا وأسحرهن طرفا وأبرعهن شكلا فقالت: والله ما أحـسنت بدءا، ولا أجملت عودا، ولقد أسأت في الرد، ولم تكافئيه علي الود فما عليك لـو أسـعفته بطلبتـه وأنصفته في مودته، وإن المكان لخال وإن معك من لا ينم عليك؟

فقالت: أما والله لا أفعل من ذلك شيئا أو تشركيني في حلوه ومره٠ قالـت لهـا: تلـك إذا قسمة ضيزي[5]٠

---

[1]- كثيب نقا: مجمع رمل.

[2]- الكفل: العجيزة.

[3]- كلام فاضح لم نرد ذكره.

[4]- لا يودى : لا يقتص منه.

[5]- قسمة ضيزي : جائرة.

قالت أخرى منهن: قد أطلتن الخطاب في غير أدب، فسلنْ الرجل عن بته وقصده وبغيته، فلعله لغير ما أنتن فيه قصد. فقلن: حياك الله وأنعم بك عينا ممن تكون؟ وممن أنت؟ وممن أنت؟ وما تعاني؟ وإلام قصدت؟

فقلت: أما الاسم فالحسن بن هانئ من اليمن ثم من سعد العشيرة وخير شعراء السلطان الأعظم، ومن يدنى مجلسه، ويتقى لسانه، ويرهب جانبه، وأما قصدي فتبريد غلة، وإطفاء لوعة قد حركت الكبد وأذابتها. قالت: لقد أضفت إلى حُسن المنظر كرم المخبر وأرجو أن يبلغك الله أمنيتك، وتنال بغيتك!

ثم أقبلت عليهن فقالت: ما واحدة منكن غير ملتمسة مرغبة فتعالين نشترك فيه، ونتقارع عليه، فمن واقعتها القرعة منا كانت هي البادئة. فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بأمري ...

فعلق إزار على باب الغار، وأدخلت فيه وأبطأت عليّ وجعلت أتشوق لدخول إحداهن عليّ إذ دخل علي أسود كأنه سارية وبيده شيء كالهراوة، ثم صحت بصاحبي وكان متأنيا مع الجواري، فو الله ما تخلصت منه حتى خرجنا من الغار، وإذا هن يتضاحكن ويتهادين إلى الخيمات. فقلت لصاحبي: من أين أقبل الأسود؟ قال: كان يرعى غنما إلى جانب الغار فدعونه فوسوسن إليه شيئا فدخل عليك. فقلت: أتراه كان يفعل بي شيئا؟ فقال: أتراك خلصت منه؟ فانصرفت وأنا أخزى الناس.

أعلم أنك أشجع الناس

* وقال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني" ، كانت رملة بنت عبد الله بن خلف جميلة حسنة الجسم وكان أنفها عظيما وكان ذلك يعيبها وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر، وكانت تحته عائشة بنت طلحة أجمل نساء عصرها، فقال يوما لعائشة: فعلت يوم أبي فديك كذا وكذا، وفعلت يوم سجستان[1] كذا وكذا، وجعل يعدد أيام حروبه، فقالت له عائشة: أنا أعلم أنك أشجع الناس وأعرف لك يوما كنت فيه أشجع من جميع أيامك التي ذكرت. قال: وما هو؟ قالت: يوم اختليت برملة وأقدمت على أنفها!

[1] - سجستان: اسم مدينة.

الغزال النجدي

*ومرّ رجل بناحية البادية فإذا بفتاة كأحسن ما تكون، فوقف ينظر إليها فقالت له عجوز من ناحية: ما يقيمك علي الغزال النجدي ولا حظ لك فيه، فقالت الجارية: يا عمتاه يظن كما قال ذو الرمة:

وغن لم يكن إلا تعلل ساعة   قليلا فإني نافع لي قليلها[1]

مكة والحجر الأسود!

*وقال الجاحظ: رأيت امرأة جميلة، فقلت ما اسمك؟

قالت: مكة.

فقلت: أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود.

قالت لا إلا بالزاد والراحلة[2].

بشرى

* قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يوما علي امرأته وكان عمران قبيحا ذميما قصيرا، وقد تزينت وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالا وحُسنا، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلة، فقالت: أبشرْ فإني وإياك في الجنة، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أُعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة[3].

الزوج الرحيم

* وكان المغيرة بن شعبة قبيحا أعور، فخطب امرأة فأبت أن تتزوجه، فبعث إليها: إن تزوّجتني ملأت بيتك خيرا وكنت زوجا رحيما فتزوجت به[4].

---

[1]- عيون الأخبار ج ٤ ص ٢٢.

[2]- الأذكياء ص٢١٧.

[3]- المرجع السابق ص ٢٣٩ .

[4]- عيون الأخبار ج ٤ ص ٣٨ .

البائسة طلقها الله!

*وحكى أن رجلا طلق امرأته، فمر رجل في بعض الطرقات فسمع امرأة تسأل أخرى عنها، قالت: البائسة طلقها الله! فقالت: أحسن بارك الله عليه. فتعجب الرجل وقال لها: يا أمة الله، من شأن النساء التعصب بعضهن لبعض وأسمعك تقولين ما قلت فأجابت: يا هذا لو رأيتها لعلمت أن الله تعالى قد أحل لزوجها الزنى من قبح وجهها[1].

لو رأيت حسني!

* وقال أحدهم: تزوج أعمى امرأة، فقالت له: لو رأيت حسنى وبياضي لعجبت، فقال: لو كنتِ كما تقولين ما تركك لي البصراء[2].

إنَّ فيَّ عيب

*وقيل: مرّ رجل أشمط[3] بامرأة عجيبة في الجمال، فقال: يا هذه أن كان لك زوج فبارك الله لكِ فيه وإلا فأعلمينا، فقالت: كأنك تخطبني، قال نعم. فقالت: إن فيَّ عيبا قال: وما هو؟ قالت: شيب في رأسي. فثنى عنان دابته، فقالت: على رسلك[4]، فلا والله ما بلغت العشرين سنة، ولكنني أحببت أنْ أعلمك أنى أكره منك ما تكره مني[5].

لا أعدمني الله إحسانك!

* كان الرشيد بن الزبير علي جلالته وفضله ومنزلته من العلم والنسب قبيح المنظر، أسود الجلدة، ذا شفة غليظة، وأنف مبسط كخلقة الزنوج، قصيرا.

حدَّث يوما فقال:

مررت بموضع في القاهرة وإذا امرأة شابة الوجه وضيئة المنظر . فلما رأتني نظرت إليَّ نظر مطمع لي في نفسه. فتوهمت أنني وقعت منها بموقع ونسيت نفسي. وأشارت إلىَّ بطرفها

---

[1]- الجواري والحظايا ص ١١ – ١٢.

[2]- الأذكياء ص١٤٥.

[3]- الأشمط : الذي خالط سواد شعره الشيب.

[4]- على رسلك: على مهلك.

[5]- ثمرات الأوراق ص ٤٠٧ ، وانظر: المستطرف ج ٢ ص٥١.

فتبعتها وهى تدخل في سكة وتخرج من أخرى حتى دخلت دارا، وأشارت إليَّ فدخلت ورفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامة ثم صفقت ببابها منادية: يا ست الدار فنزلت إليها طفلة، فقالت لها: إن رجعت تبولين في الفراش تركت سيدنا القاضي يأكلك! ثم التفتت إليَّ ، وقالت: لا أعدمني الله إحسانك.

فخرجت وأنا خزيان خجلا لا أهتدي إلى الطريق[1].

"وإذا الوحوش حشرت"

*وقفت امرأة قبيحة علي عطار ماجن فلما نظر إليها قال: "وإذا الوحوش حشرت[2]".

فقالت: "وضرب لنا مثلا ونسى خلقه".

قال: "منْ يحي العظام وهى رميم[3]".

ليس لديوان الرسائل أريدك

* وقال أبو العيناء: خطبت امرأة فاستقبحتني ولم تعجبها صورتي فكتبت لها:

فإن تنفري من قبح وجهي فإني   أريبٌ أديبٌ لا غبي ولا فدم

فردّت عليَّ تقول: ليس لديوان الرسائل أريدك.

لبيك اللهم لبيك

*قال الأصمعي: تزوَّج رجلا امرأة بالمدينة فقالوا له: إنها شابة طرية من أمرها ومن أمرها ويدلسون له عجوزا. فلما دخل بها نزع نعليه، وهم يظنون أنه يضربها فقلدها إياهما، وقال: لبيك اللهم لبيك هذه بدنة[4] فأسكتوه وافتروا منه[5].

---

[1]- معجم الأدباء لياقوت الحموي ، عن كتاب ألف حكاية وحكاية ص ٢٧٩ .

[2]- سورة التكوير، الآية (٥) .

[3]- سورة يس ، الآية (٧٨) .

[4]- بدنة : من الإبل والبقر بمنزلة الأضحية من الغنم تُهدى في مكة ، سُميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها وكانت تميز بأن يجعل في عنقها نعل ليُعرف أنها هدى .

[5]- عيون الأخبار ج ٤ ص٤٧ .

كلام مظلوم ووجه ظالم!

*وقال أحدهم: أن رجلا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المنتقب[1] قبيحة المسفر[2]، وكان لها لسان[3] فكأن العامل مال معها، فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها، فأهوى الزوج النقاب عن وجهها، فقال العامل: عليك اللعنة كلامٌ مظلوم ووجهٌ ظالم[4].

قضيت الحق

*قالت السيدة سكينة بنت الحسين(1) رضى الله عنها لعائشة بنت طلحة(2):

أنا أجمل منك!

فقالت عائشة: بل أنا أجمل منك! واختصما إلى عمر بن أبى ربيعة(3).

فقال: لأقضين بينكما، أما أنت يا سكينة فأملح، وأما أنت يا عائشة فأجمل.

فقالت سكينة: قضيت لي والله عليها.

ويوضح هذا قولهم: الجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة على البعد، فإذا دنت لم تكن كذلك، والمليحة هي التي تأخذ بقلبك على القرب، أو التي كلما كررت فيها بصرك زادتك حسناً.

---

[1]- المنتقب : من النقاب.

[2]- المسفر : من السفور وهو كشف الوجه.

[3]- كان لها السان : أي تجيد الكلام.

[4]- المرجع السابق ج٤ ص ٣٣.

(1) سكينة بنت الحسين: هي سكينة بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه سيدة جليلة ذات نبل ومقام رفيع، كانت تجالس الأجلة من قريش، وتجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتكمون إليها. انظر باب "بلاغة المرأة"، الكتاب الثالث من هذه السلسلة.

(2) عائشة بنت طلحة : هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمية، أمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق، كانت من أجمل النساء في عصرها. كانت تجالس الأدباء والشعراء. توفيت بعد نيف ومائة للهجرة. انظر باب "أوصاف المرأة"، الكتاب الأول من هذه السلسلة.

(3) عمر بن أبى ربيعة : هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومي القرشي. شاعر غزل مشهور. وُلد في سنة ٢٣هـ وتُوفى في سنة ٩٣هـ، (أنظر الأعلام للزركلي ج٥ ص٢١١).

القبيح والجميلة

*قال عمارة بن عقيل[1] : كنت امرءاً دميماً داهياً فتزوجت حسناء رعناء ليكــون أولادي في جمالها ودهائي، فجاؤوا في رعونتها ودمامتي[2].

في وصف زوجة قبيحة

*واستمع إلى هذا الرجل ماذا يقول في زوجة قبيحة ابتلى بها، وها هو يصفها:

هي الغول والشيطان لا غول غيرها	ومن يصحب الشيطان والغول يكمد[1]
تعوذ منها الجنُّ حين ترونها	ويفرق منها كل أفعى وأسود[2]
فإني لشاكيها إلى كل مسلم	وأدعو عليها الله في كل مسجدِ[3]

يرغبن في الزواج وإنْ أحدودب الظهر!

*قيل: إنَّ امرأة عجوز مرضت، فأتاها أبنها بطبيب، فرآهــا الطبيــب متزينـــة بـــأثواب مصبوغة، فعرف ما بها، فقال الطبيب: ما أحوجها إلى زوجٍ ! فقال الابن: وما حاجـــة العجـــائز للأزواج! فقالت الأم العجوز: ويحك[1]! الطبيب أعلم منك على كل حال ؟!

ذكرني فوك حماري أهلي

*خرج رجل يطلب حمارين ضلا له، فرأى امرأة منتقبة فأعجبته حتى نـــسى الحمـــارين، فلم يزل يطلب إليها حتى سفرت[1] له، فإذا هي فوهاء، فحين رأى أسنانها ذكر الحمـــارين، فقـــال: ذكرني فوك حماري أهلي، وأنشأ يقول:

ليت النقاب على النساء محرَّمٌ	كيلا تغُر قبيحة إنسانا[1]

---

(1) عمارة بن عقيل : هو عمارة بن عقيل التميمي، شاعر مقدم، فصيح من أهل اليمامة، وهــو مــن أحفــاد جريــر الشاعر الأموي المشهور. ولد في عام ١٨٢هـ وتوفى في عام ٢٣٩هـ. (أنظر الأعلام للزركلي ج٥ ص١٩٣).

(2) تاريخ بغداد للخطيب ج١٢ ص٢٨٢.

(1) يكمد : من الكمد، وهو الهم والحزن.

(2) الأسود : الأفعى الكبيرة.

(3) الأشباه والنظائر للأسيوطى ج٢ ص٢٨٨.

(1) ويح: كلمة ترحم وتوجع، وقد تأتي بمعنى التعجب، وقيل : إنها تعنى : ويل.

1 - سفرت له: كشفت عن وجهها.

الشيوخ الفروخ

* كان الحارث بن سليل الأسدي حليفا لعلقمة بن خصفة الطائي، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجمل أهل دهرها فأعجب بها، فقال له: ابنتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب، فقال له علقمة: أنت كفءٌ كريم يُقبل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أمها، فقال: إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته.

فقالت امرأته لابنتها: أي الرجال أحب إليك: الكهل الجحْجاح الواصل المناح أم الفتى الوضاح؟

قالت: لا، بل الفتى الوضاح؟

قالت: إن الفتى يغيرك وإن الشيخ يمبرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن.

قالت: يا أمتاه: إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا.

قالت: أي بنية إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب.

قالت: إن الشيخ يبلي شبابي ويدنس ثيابي ويشمت بي أترابي.

فلم تزل أمها بها حتى غلبتها علي رأيها فتزوجها الحارث علي مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه، بين ما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء.

فقال لها ما يبكيك؟

قالت ما لي والشيوخ الناهضين كالفروخ .

فقال لها: ثكلتك أمك تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها[٢].

طاقة النرجس

[١] – مجمع الأمثال للميداني ج١ ص ٢٧٥ .

[٢]– المرجع السابق ج١ ص ١٢٢.

*قالت دلالة لرجل عندي امرأة كأنها طاقة نرجس فتزوجها، فإذا هي عجوز قبيحة فقال: كذبت عليّ وغششتني، فقالت: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر[1].

أنت امرأتي!

* وأراد شعيب أن يتزوج امرأة فقال لها: إني سيئ الخُلْق.

فقالت: أسوأ منك خلقا منْ أحوجك أن تكون سيئا.

قال: أنت امرأتي[2].

الضرة والكتب

*قيل لامرأة الزبير بن بكار أو غيره: هنيئا لك إذ ليست لك ضرة.

فقالت: والله لهذه الكتب أضر عليّ من عدة ضرائر[3].

حُسن الجوار

* بكت عجوز علي ميت فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة[4].

الحجام

*جاءت دلالة إلى قوم فقالت: عندي زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج فرضوا به وزوّجوه فإذا به حجام[5].

السادس الشقي

---

[1] – الأذكياء ص ٢٥٥ .

[2]– المرجع السابق ص ٢٥٠.

[3]– روضة المحبين ص ٦٩.

[4]– الأذكياء ص ٢٥٦ .

[5]– المرجع السابق ص ٢٥٥ .

*عن المدائني قال: كان المطلب بن محمد الحنطي على قضاء مكة، وكان عنده امرأة قد مات عندها أربعة أزواج، فمرض مرض الموت، فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى منْ تُوصي بي؟

قال: إلى السادس الشقي[1].

أخشى أن يعرفني ملك الموت

*قال عثمان بن عمر[2] نزل الموت بزوج امرأة فقيل لها: لو دخلت على زوجك وودعتيه.

قالت: أخاف يعرفني ملك الموت[3].

ماءٌ ولا كصداء

*قال المبرد : يروى عن ابنة هانيء بن قبيصة أنه لما قتل لقيط بن زرارة من دارم فتزوجها رجل من أهلها، فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا. فقال لها ذات مرة: ما استحسنت من لقيط؟ قالت: كل أموره حسن، ولكنى أحدثك أنه خرج إلى الصيد مرة وقد ابتني بي[4]، فرجع إليَّ وبقميصه نضح من دماء الصيد والمسك يضوع[5] من أعطافه[6]ورائحة الشراب من فيه، فضمني ضمة وشمني شمة فليتني مت ثمّة.

قال: ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها وقال لها: أين أنا من لقيط؟

قالت: ماء ولا كصداء[7].

قمْ أخزاك الله!

*ومن طريف ما يُروى أن أحد العلماء الصالحين وكان أعمى فدعا أحد أقاربه ليصلح بينه وبين زوجته، فقال: يا أمَّ فلان إن زوجك في ورعه وزهده ليشبعه ما يشبع الهدهد، ويرويه

---

[1]- المرجع السابق ص ٨٠.

[2]- هو عثمان بن عمر بن موسى التيمي، قاض من أهل المدينة.

[3]- أخبار الحمقى والمغفلين ص١٨١.

[4]- ابتنى بها : دخل عليها.

[5]- يضوع : تنتشر رائحته.

[6]- أعطافه: إبطاه وجوانبه.

[7]- صداء : زكية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها.

ما يروى العصفور، ولئن كان متهدما، فإنه جبل علم، ولا تنظري إلى عمـــش بعينيـــه، وحموشـــة ساقية، فإنه إمام وله قدر، فصاح الرجل: قم أخزاك الله! ما أردت إلا أن تعرفهـــا عيـــوبي! قـــال القريب: ولكنى لم أقم، ولكن قامت زوجة العالم فقبّلت يده[1].

بنات إبليس

*قيل خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان، والحسب علي ما قد علمته، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفي خصال سأبينها لكِ فتقدمين عليّ أو تدعين.

قالت: وما هي؟

قال: إن الحرّة إذا دنت منى أملتني ، وإذا تباعدت عنى أعلتنـــي، ولا ســـبيل إلـــى درهمـــي ودیناري ويأتي عليّ ساعة من الملال لو أن رأسي في يدي نبذته.

فقالت: قد فهمنا مقالتك، ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها لبنـــات إبلـــيس فانصرف رحمك الله[2].

حبة الخردل

*وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، فكان الفتى طريرا جمـــيلا فأرســـلت إليهما المرأة، فقالت: إنكما خطبتماني ولست أجيب أحـــد منكمـــا دون أن أراه وأســـمع كلامـــه فاحضرا إن شئتما، فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رآه المغيرة ونظر إلـــى جماله وشبابه وهيئته يئس منها، وعلم أنها لن تؤثره عليه، فأقبل علي الفتى فقال له: لقـــد أوتيـــت جمالا وحُسنا وبيانا، فهل عندك سوى ذلك؟

قال: نعم فعدّد محاسنه، ثم سكت.

فقال له المغيرة: كيف حسابك؟

قال: ما يسقط عليّ منه شيء وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة.

فقال له المغيرة: لكنى أضع البدرة[3] في زاوية البيت فينفقها أهلي علي ما يريدون فمـــا أعلـــم بنفاذها حتى يسألوني غيرها.

[1]- تحفة العروس ص ٤١٦.

[2]- عيون الأخبار ج ٤ ص ١٦ .

[3]- البدرة: كيس النقود.

فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحبّ إلى من هذا الذي يحصى علـــي مثـــل صغير الخردل.

فتزوجت المغيرة[1] .

الأعرابي والأميرة

*بشر النبي صلي الله عليه وسلم أصحابه بأنهم سيفتحون الحيرة، فقـــال أحـــدهم- وكـــان يُدعى شُوْيل – للنبي الكريم:

"يا رسول الله إذا فتحنا الحيرة هل تعطيني "كرامة بنت عبد المسيح"؟

كانت كرامة ابن' عبد المسيح أميرة ، وكان سكان الجزيرة العربية قد ســـمعوا بجمالهـــا الأخاذ، وكانت أجمل امرأة موجودة في الحيرة.

فابتسم الرسول وقال: هي لك.

وعندما تم فتح الحيرة في خلافة أبو بكر الصديق وعلي يد القائد خالد بن الوليـــد، وجـــاء عمرو بن عبد المسيح نائبا عن قومه للتفاوض مع المسلمين وكتابة شروط الاستـــسلام. واقتـــرب شويل الذي كان يعمل خادما لدى خالد – سيف الله – وقال لخالد:

"أيها الأمير عندما تستسلم الحيرة هل بإمكاني أن أخذ كرامة بنت المسيح، لقد وعدني بهـــا رسول الله" .

فقال خالد: هل لديك شهود؟ قال شويل: نعم والله ، وأحضر شهوده الذين أيدوا كلامه.

عندئذ أضاف خالد هذه النقطة كمادة في الإتفاقية مع أهل الحيرة: "وتعطى كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل! ".

فبكت نساء بيت عبد المسيح عندما سمعن بذلك النبأ، فكيف يمكن لأميرة عاشت حياتها في رفاهية وسؤدد أن تعطى لأعرابي بسيط يعيش في الصحراء! ومما جعل هذا الأمـــر مـــضحكا أن "كرامة" كانت تبلغ الثمانين من عمرها!

لقد كانت في يوم ما أجمل بنات زمانها، لكن ذلك كان منذ زمن بعيد.

فقالت الأميرة: خذوني إليه فإنما هذا رجل أحمق رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يـــدوم؟ وكان شويل ينتظر جائزته وبينما هو غارق في أحلامه الجميلة إذ دخلت عليـــه "كرامـــة" ووقفـــت

---

[1]- المستطرف ج٢ ص١٤٩.

أمامه، وعندما رآها شويل أُصيب بالذهول والكآبة ، وظل صامتا حيث خانــه الكــلام. فكــسرت الأميرة الصمت وقالت: ما أربك علي عجوز كما ترى؟ فدعني أرحل.

ووجد شويل الفرصة أمامه لكي تدفع له ثمن حريتها.

فقال لها: لا... إلا علي حكمي.

فقالت: لك حكمك مرسلا.

فقال: لست لأم شويل إن نقصتك من ألف درهم.

فاستكثرت العجوز ذلك لتخدعه، ثم دفعت إليه المبلغ في الحال ورجعت إلى أهلها.

فتسامع الناس بذلك فعنفوه فقال: ما كنت أعرف أن عددا يزيد علي ألفا!! وعنــدما ســمع بذلك خالد بن الوليد ضحك، وقال: "يريد المرء أمرا، ولكن الله يريد غيره".

الكنَّةْ والحماة !

قال الشاعر على لسان حَماةٍ تتّهم كنّتها باستراق السمع والتطلّع إلى مــا يجــرى حولهــا، وحَمْلِها ما ترى وتسمع على مظنّة السُّوء، فيقول:

إن لكم لَكنَّهْ *** معَنَّةً مفنَّهْ[1]

سَمْعَنَّةَ نظْرَنَّهْ[2] *** كالرِّيحِ حَوْلَ القُنَّهْ

إلاَّ تَرَهْ تَظَنَّهْ *** كالذئب وسْطَ العُنَّهْ[3]

مكارم الأخلاق

*يروي الخطيب البغدادي حكاية امرأة تقدَّمت إلى مجلس القاضي موســى بــن إســحاق بمدينة الريّ[4] سنة ٢٨٦هـ، فادعى وكيلها بأنَّ لموكّلته على زوجها خمــسمائة دينــار (مهرهــا) فأنكر الزوج.

فقال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك.

قال: أحضرتهم. فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته.

---

[1]- معنّة: أي تتدخل فيما لا يعنيها . مفنة: أي تأتي بفنون من العجائب.

[2]- سمعنة نظرنه: أي أنها إذا تسمْعت وتبصّرت ولم ترَ شيئاً فظننت.

[3]- كالذئب وسط الغنم: أي في الحظيرة، إذا لم تره تظنُه. (انظر: لسان العرب، مادة سمع).

[4]- الرّيَ: مدينة في بلاد فارس، تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طهران العاصمة الإيرانية، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فقام الشاهد وقال للمرأة: قُومي.

فقال الزوج: تفعلون ماذا؟

قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مُسْفِرةٌ لتصحّ عندهم معرفتها.

فقال الزوج: وإنّي أُشهد القاضي أنَّ لها عليَّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تُسفر عن وجهها[1].

فردَّت المرأة، وقد أُخبرت بما كان من زوجها، فقالت: فإنّي وهبتُ له هذا المهر وأبرأتُ ذمّته في الدنيا والآخرة.

فقال القاضي: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق[2].

المرأة والإزار

*جاءت امرأة إلى جارة لها تستعير منها إزارا لتمضي في حاجة وترده من ساعتها فقالت: قد غزلت من إزاري عشرة أساتير[3] فاصبري حتى أتم غزل وأسلمه إلى الحائك ويفرغ منه وأعطيك إياه ولا تمري بمسمار فإنه جديد.

المسمار والخف الجديد

*وقالت امرأة لأخرى: اليوم مشيت إلى قبر أحمد فدخل في رجلي مسمار، فقالت لها: وكان الخف الجديد في رجلك؟ قالت: لا، قالت لها: فاحمدي الله[4].

---

[1]- تسفر عن وجهها: أي تكشف عنه.

[2]- تاريخ بغداد للبغدادي ج ١٣ ص ٥٣.

[3]- أساتير: مفردها أستار، وأساتير: أي ما يُستتر به.

[4]- أخبار الحمقى والمغفلين ص ٢٠٧.

طاعة ولي الأمر

*عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: بينما أبى يمشى في سوق المدينة إذا سمع امرأة وهي تقول لابنتها: يا بنية قومي فشوبي اللبن بالماء.

قالت البنت لأمها: يا أماه.. أما سمعت منادى أمير المؤمنين ينادى أن لا يُشاب اللبن بالماء؟

فقالت الأم: وأين أنتِ من مناديه الساعة؟

فقالت البنت: إذا لم يرني مناديه ألم يرني رب مناديه؟ فوالله ما تركت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

قال: فبكى عمر، فلما أصبح دعا بالمرأة وبإبنتها، وسأل: هل لها زوج؟

فقالت: ليس لها زوج.

فقال عاصم بن عمر: أتزوجها.

فزوَّجها إياه.

فولدت له ابنة.. فتزوَّج هذه البنت عبد العزيز بن مروان.. فولدت له الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز.

هجرتان

*عن الشعبي، قال: قدمت أسماء من الحبشة، فقال لها عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة.

فقالت: لعمري، لقد صدقت: كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلِّم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لأذكرنَّ ذلك لرسول الله. فأتته. فقال: " للناس هجرة واحدة، ولكمم هجرتان".

يسار الكواعب

*قال المبرد: كان يسار الكواعب عبدا لأناس من بنى الحرث بن سعد بن قضاعة وكان راعيا في إبلهم، فبعث ببعض نسائهم وكان أسود فخدعته امرأة منهم، ورأته أنها قد قبلته وواعدته

ليوم، فعلم به بعض أصحابه من الرعاة، فنهاه عنها وقال له: يسار! كُلْ من لبن الجوار واشــربْ من لبن العشار، ودعْ عنك بنات الأحرار.

فقال له يسار: إني إذا جئتها رحكت؛ أراد ضحكت ولا عبتني.

فأتاها في اليوم الذي واعدته فيه. فقالت: مكانك حتى أطيبك، فعمدت إليه، فجعــدت أنفــه وأذنه.

فرجع إلى صاحبه الذي كان نهاه، فأنكره فقال: منْ أنتَ ويلك؟

قال: يسار.

قال: فيسار كان لا أنف له ولا أذنين؟

قال أفما ترى، ويحك وبيض العينين، فذهبت مثلا وسمى يسار الكواعب ممن ذكره جرير حين تزوَّج الفرزدق إحدى نساء بنى شيبان وزاد في مهرها فعيره جرير بذلك فقال:

وإني لأخشى إنْ خطبت إليهمو غلبك الذي لاقى يسار الكواعب[1]

غفر الله لك

*عن ابن الزناد قال: كان عند أسماء بنت أبى بكر قميص رسول الله، فلما قُتِــل عبــد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتهت، فقالت أسماء: لَلقميص أشدُّ علىَّ من قتل عبد الله، فوُجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أرده أو تستغفر لى أسماء، فقيل لها: قالت كيــف أستغفر لقاتل عبد الله؟ قالوا: أفليس يرد القميص. قالت: قولوا له فليجئ. فجاءه بــالقميص ومعــه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه فقالت: قبضت القميص يــا عبــد الله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة.

نساءٌ وأزواج

*إنَّ رجلاً آلي يميناً[2] ألاَّ يتزوجَ حتى يستشيرَ مئة نفسٍ لِمَا قاسى من النــساء. فاستــشار تسعةً وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على أن يسأل أوَّلَ من يطرأ عليه، فرأى مجنوناً قــد اتخــذ قلادة من عَظْم وسوَّد وجهه وركب قصبةً وأخذ رمحه، فسلَّم عليه وقال: مسألة، فقــال: سَــلْ مــا

---

[1]- مجمع الأمثال للميداني.

[2]- آلي يميناً: حلف يميناً.

يعنيكَ، وإيَّاك َوما لا يعنيك، واحذر رَمْحةَ هذا الفرس[1] قال: فقلتُ مجنونٌ واللَّه، ثــمَّ قلــت: إنِّــي رجلٌ لقيتُ من النساء بلاءً وآليتُ ألاَّ أتزوج حتى استشير مئة نفسٍ وأنت تمام المئة فقال: اعلم أنَّ النساء ثلاث: واحدٌ لك وواحدةٌ عليك وواحدةُ لا لكَ ولا عليك. فأمَّا التي لك فشابَةٌ طريّةٌ لم تمــسّ الرجال فهي لك لا عليك، إن خيراً حَمدتْ وإن شراً قالت: الرجال على مثل هذا. وأمَّا التي عليــك لا لك فامرأة قد تزوجت قبلك، إن رأت خيراً قالت: هكذا يجب. وإن رأت شراً حنّت إلى زوجها الأول. قال: فقلتُ: نشدتكَ اللَّه ما الذي غَّير من أمرك ما أرى؟ قال: ألم أشترط عليــك ألاَّ تــسأل عمّا لا يعنيك؟ فأقسمت عليه، فقال: إنِّي رُشِّحتُ للقضاءِ فاخترتُ ما ترى على القَضاء[2].

حيلة ذكية

*عن المروزي قال: اشترى أبو عبد الحميد سمكة فنام إلى أن تــستوي، فجــئ بالــسمكة فأكلتها امرأته مع نساء، ثم مسحت شفتيه وأطراف أصابعه منها، فانتبه فدعا بالغداء، وقال: هــاتوا السمكة، فقالت له امرأته: يا مخبل[3] ألست قد أكلتها ونمت ولم تغسل يديك؟ فشمّ يده فوجــد ريــح السمك فغسل يده وقال: ما رأيت سمكة امرأ من هذه قد جعت فهيئوا لي الغداء[4].

القشاش!

*روى الواقدي قال: دخلتُ يوماً إلى المهدي[5] فدعا بمحبرته ودفتره، وكتب عنّــي أشــياء حدّثته بها، ثم نهض وقال: كُن مكانك حتى أعودَ إليك، ودخل إلى دار الحرم، ثمّ خــرج متنكــراً ممتلئاً غيظاً، فلمّا جلس قلت: يا أمير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التي دخلتَ عليها؟ فقال: نعم دخلت على الخَيْزُران فوثبتْ عليَّ ومدّت يدها إليّ وخرقَتْ ثَوْبي وقالت: يا قــشّاش[6]؟ قــال: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "إنهن يَغْلِبن الكرام، ويغلبهنّ اللئــام". وقال "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي". وقال: "وقد خُلقت المرأةُ من ضِلْعٍ أعوج إن قومتــه

[1]- رمحةُ الفرس: رَفْسَتُها.

[2]- عقلاء المجانين للنيسابوريص ٧٧.

[3]- يا مخبل: أي يا مجنون.

[4]- أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٧٧.

[5]- المهدى: أحد الخلفاء العباسيين.

[6]- القشّاش: جمع القُشاش وهو اللقاطة؛ أي ما يُلتقط من وراء الحصادين.

كسرته". وحدَّثته في هذا الباب بكلّ ما حضرني، فسكن غضبه وأسفر وجهه[1]، وأمر لي بألفي دينار. وقال: أصلح بهذه من حالك وانصرفتُ. فلمّا وصلتُ إلى منزلي وافاني رسول الخَيْزران فقال: تقرأ عليك ستّي السلام، وتقول لك: يا عمّ قد سمعتُ جميع ما كلّمت به أميرِ المؤمنين فأحسن اللّه جَزاءك، وهذه ألفا دينار إلاّ عشرة دنانير بعثتُ بها إليك لأني لم أحب أن أساوي صلة أمير المؤمنين، ووجَّهتْ إليّ بأثواب[2].

الشرط

* وقال الشرقي بن القطامي: كانت في الجاهلية امرأة أكملت خلقا وجملا وكانت تزعم أن أحدا لا يقدر على جماعها لقوتها، وكانت بكرا، فخاطرها ابن الغز الإيادي، وكان واثقا عنده، على أنه إنْ غلبها أعطته مائة من الإبل وإنْ غلبته أعطاها مائة من الإبل، فلما واقعها[3] غلبها وفاز بالشرط وأخذ مائة من الإبل[4].

لا بد للنساء من البكاء

*قال أبو العنبس: اجتزتُ في بعض الطريق لحاجة، فإذا امرأة عرضت[5] لي فقالت: هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت: نعم. وتدخله الكتاب فينصرف فيلعب فيصعد إلى السطح فيقع فيموت، وصرخت ويلاه ولطمت، ففزعت وقلت: هذه مجنونة وهربت من بين يديها فرأيت شيخا على باب فقال: ما لك يا حبيبي؟ فقصصت عليه القصة، فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك وقال: لا بد للنساء من البكاء إذا مات لهن ميت فإذا هو أحمق منها وأجهل[6].

الشفيع

*ووقع بين رجل وامرأته شر، فجعل يحيل عليها بالجماع.

فقالت: فعل الله بك! كلما وقع بيننا شيء جئتني بشفيعٍ لا أقدر على رده.

---

[1]- أسفر وجهه: أشرق.

[2]- تاريخ بغداد للبغدادي ج١٤ ص٤٣١.

[3]- واقعها: أي جامعها.

[4]- مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٩١

[5]- عرضت: ظهرت.

[6]- أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٥٦.

اقتلها وعليَّ إثمها!

*وأقبل رجل إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فقال: إن لي امرأة كلما غشيتها[1]، تقول: قتلتني قتلتني.

قال: اقتلها وعليَّ إثمها.

في بصري ضعف

*قال الزبير بن بكار: جاءت امرأة إلى ابن الزبير تستعدى زوجها وتزعم أنه يصيب جاريتها، فأُمر به فأُحضر، فسأله عما ادعت، فقال: هي سوداء وجاريتها سوداء، وفي بصري ضعف، ويضرب الليل برواقه فأنا أخذ من دنا منى.

أنت طالق ثلاثاً بتاتاً !

*إنَّ بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان حبّاً شديداً وتبغضه بغضاً شديداً، ولم تزل المنافرة بينهما ألبتَّة[2]. وأضجره ذلك وطالت مدّة تجرّؤها عليه في الكلام، فقال لها يوماً: أنتِ طالق ثلاثاً بتاتاً، فأبلسَ[3] الرجل ولم يدرِ ما يجيب، وخاف في جوابها من وقوع الطلاق. وأرسل إلى أبي جعفر الطبري فأخبره بما جرى. فقال له: إذا طالبتكَ بالجواب فقل لها: أنتِ طالقٌ ثلاثاً بتاتاً إن أنا طلقتكِ. فتكون قد خاطبتها ووفيتَ بيمينك[4].

المرأة والقاضي

*تقدَّمت امرأة إلى قاضٍ، فقال لها: جامعك شهودك، فسكتت.

فقال كاتبه: إن القاضي يقول لك: جاء شهودك معك؟

قالت: نعم. هلاّ قلت مثل ما قال كاتبك، كبر سنك، وقلَّ عقلك، وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك[5]، ما رأيت ميتاً يقضى بين الأحياء غيرك!

[1]- غشيتها: جامعتها.

[2]- ألبتّه: مستمرة، متواصلة.

[3]- أبلس: تحيّر.

[4]- ثمرات الأوراق لابن حجة ص١٢١.

[5]- لبَك: عقلك.

امرأة تدعي النبوة

*ادعت امرأة النبوة على عهد المأمون، فأُحضرت إليه، فقال لها: من أنت؟

قالت: أنا فاطمة النبية.

فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ρ .

قالت: نعم كل ما جاء فيه فهو حق.

فقال المأمون: فقد قال: "لا نبيَّ بعدي".

قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبية بعدي؟

فقال المأمون لمنْ حضره: أما أن فقد انقطعتُ، فمنْ كانت عنده حجة فليأتِ بها، وضحك حتّى غطى على وجهه[1].

لقمة بلقمة !

قيل: كان لامرأة ابن غابَ عنها غيبة منقطعة. فجلست تأكل يوماً، فحين قطعت لُقْمةً، وأهوت بها إلى فيها، تصدّق[2] منها سائل وقف بالباب، فامتنعت من أكل اللقمة، وحملتها مع تمام الرغيف فتصدّقت بها، وبقيت جائعة.

وكانت شديدة الحذر على ابنها والدعاء بردّه، فما مضت إلاَّ ليالٍ يسيرة على هذا الحديث، حتى قَدِمَ ابنها، فأخبر بشدائد مرَّت به عظيمة.

وقال: أعظم شيءٍ مرَّ على رأسي، أنّي كنت في وقت كذا، أسلك أجَمةً[3] في البلد الفلاني، إذ خرج أسدٌ، فقبض عليَّ من حمار كنت فوقه، فغار الحمار[4] فتشبَّكَتْ مخالب السبع، في مُرقَعَّةٍ كانت عليَّ، فما وصلت إليَّ، وذهب عقلي، وجرَّني فأدخلني الأجَمَة.

فما هو إلاَّ أن بَرَكَ عليَّ ليفرسَني، حتى رأيت رجلاً عظيم الخلق، أبيض الوجه والثيابُ، وقد جاء حتى قبض على قَفَا الأسد، وشاله[5] حتّى خبط به الأرض، وقال: قُم يا كلب، لقمةٌ بلقمةٍ، فقام السبع مهرولاً، وثاب إليَّ عقلي، وطلبت الرجل، فلم أجده.

---

[1] نهاية الإرب للنويري ج٤ ص١٤.

[2]- تصدّق منها: طلب الصدقة.

[3]- أجمةٌ: غابة كثيفة الأشجار.

[4]- غار: أغار أي أسرع في عدوه.

[5]- شاله: رفعه.

٥- نشوار المحاضرات للتنوخي ج٢ ص٤٢.

وجلست ساعات، إلى أن عادت إليَّ قوّتي، ثم نظرت إلى نفسي، فلم أجد بها بأساً، فمشيت، فلحقت القافلة، وأخبرتهم فعجبوا من خلاصي، لم أدرِ ما معنى لقمة بلقمة!.

فنظرت المرأة إلى الوقت فإذا هو الوقت الذي أخرجت اللقمة من فيها، وتصدّقت بها. فأخبرته الخبر.

أين السنّور؟

*اشترى رجلٌ ثلاثة أرطالٍ لحماً، وقال لامرأته: اطبخيه وخرج إلى مشغله. فطبختــه المرأة وأكلته. فلمّا جاء زوجها، قال: هاتي ما طبختِ. قالت له: أكلــه الســنّور. فأخــذ الرجــل السَّنّوْر[1] ووزنه، فإذا فيه ثلاثة أرطال، فقال لها: هذا وزن السنّور، فأين اللحم؟ أو هذا وزن اللحم، فأين السنّور[2]؟!

لعن الله منْ تمدْ

* **عن** الهذيل، أنه قال كان عندنا بالمدينة لحام فجاءته عجوز فقالت: أعطني بدرهم لحمــا وطيبه لي وأخبرني باسمك حتى أدعو لك، فأعطاها شر لحم وقال: اسمي (منْ تمد) فلما أفطــرت العجوز جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه، فجعلت تقول: لعن الله (منْ تمد) فتعلن نفسها[3].

عصفوران بحجر واحد

*قال: دخلت عجوز على قوم تعزيهم بميت، فرأت في الدار عليلا فرجعت وقالــت: أنــا والله على المشي وأحسن الله عزاءكم في هذا العليل أيضا[4].

جحا وامرأته الحولاء

*تزوَّج جحا[5] امرأةً حولاء ترى الشيء شيئين، فلما أراد الغداء أتــى بــرغيفين فرأتهمــا أربعة، ثم أتى بالإناء فوضعه أمامهما.

---

[1] السنّور: القطّ.

[2]- الحدائق لابن عاصم ص١٠٨.

[3]- أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٧٥.

[4]- أخبار الحمقي والمغفلين ص٢١٥.

[5]- جحا: هو جحا الكوفي الفزاري، أبو الغصن صاحب الطرائف والنوادر، يُضرب به المثل في الحمق والغفلة ، كانت أمه خادمة لأم "أنس بن مالك".. (انظر "سلسلة النوادر والطرائف والظرفاء" لنا – تحت الطبع).

فقالت له: ما تصنع بإنائين وأربعة أرغفة؟ يكفي إناءٌ واحد ورغيفان. ففرح جحا، وقال: يالها من نعمة!

وجلس يأكل معها فرمته بالإناء بما فيه من الطعام، وقالت له: هل أن فاجرة حتى تأتي برجلٍ آخر معك لينظر إليّ.

فقال جحا: يا حبيبتي، أبصري كل شئ، اثنين إلا زوجك!

عشاق في حلبةُ الهوى

*قالت إحداهنّ عندما أسنّت تذكر ماضي أيّامها:

جَرَيْتُ مع العُشّاق في حَلْبَة الهَوى
فَفُتُهُمُ سَبْقاً وجِئْتُ على رِسْلي[1]
تَسَرْبَلْتُ ثوبَ الحبِّ مُذْ أنا يافعٌ
ومُتّعْتُ منه بالصُّدودِ وبالوَصْلِ
فما لبسَ العشّاقُ مِن حُلَلِ الهوى
ولا خلعوا إلاّ الثيابَ التي أبْلي
ولا شَرِبوا كأساً من الحبّ مُرَّةً
ولا حُلْوةً إلاّ شَرابُهُمُ فَضْلي[2]

العوْدَ أحمد

*وأوّل من قال ذلك خِداش بن حابس التميمي، وكان خطب فتاة من بني ذُهْل ثم من بني سَدُوس يُقال لها الرَّباب، وهام بها زماناً، ثمّ أقبل يخطبها، وكان أبواها يتمنّعان لجمالها ومبسَمِها[3]، فردّا خداشاً، فأضرب عنها زماناً، ثم أقبل ذاتَ ليلةٍ راكباً، فانتهى إلى محلّتهم وهو يتغنّى ويقول:

ألا ليتَ شِعْري يا ربابُ متى أرى
لنا منكِ نُجْحاً أو شِفاءً فأشْتَفِي
فقد طالما عنّيْتِني ورَدَدْتِنِي
وأنتِ صَفِيّتي دون مَنْ كنتُ أصْطَفي[4]
لحَى اللّه[5] مَن تسمُو إلى المال نفْسُهُ
إذا كان ذا فضْلٍ به ليس يَكْتَفي
فيُنْكِحَ ذا مالٍ دَميماً مُلَوَّما

---

[1]- على رِسْلي: على مهلي.

[2]- السمط للبكري ص١٣١.

[3]- مبسمها: حُسنها وجمالها.

[4]- عنيتني: من العناء، وهو التعب والإجهاد. أصطفي: أختار.

[5]- لحى الله: يقال لحى الله فلاناً أي قبّحه ولعنه.

ويترِكَ حُرّاً مِثْلَهُ ليسَ يَصْطَفي

فعرفت الرباب منطقه، وجعلت تتسمّع إليه، وحفظت الشعر، وأرسلت إلى الركب الذين فيهم خِداش: أن انزلوا بنا الليلة، فنزلوا، وبعثت إلى خِداش: أن قد عرفتُ حاجتك، فاغْدُ على أبي خاطباً، ورجعت إلى أمّها، فقالت: يا أمّه، هل أنكح إلاّ مَن أهْوَى وألتحف[1] إلاّ من أرضى؟ قالت: لا، فما ذاك؟ قالت: فأنكحيني خِداشاً، قالت: وما يدعوك إلى ذلك مع قلّة ماله؟ قالت: إذا جمع المالَ السيّءُ الفعال فَقُبْحاً للمال. فأخبرت الأمُّ أباها بذلك، فقال: ألم نكن صرفناه عنّا، فما بدا له؟ فلمّا أصبحوا غدا عليهم خِداش، فسلّم وقال: العَوْدُ أحمدُ، والمرء يُرْشَدُ، والوِرْدُ[2] يُحْمَدُ، فأرسلها مثلاً[3].

العاشقات الثلاثة

ذكر رجلٌ من أهل المدينة أنَّ رجلاً خرج حاجّاً، فنزل تحت سَرْحةٍ[4] في بعض الطريق بين مكّة والمدينة، فنظر إلى كتاب معلّق على السَّرْحة فيه:

"بسم اللَّه الرحمن الرحيم: أيها الحاجّ القاصد بيت اللَّه تعالى، إنَّ ثلاث أخوات خَلَوْنَ يوماً فبُحْنَ بأهوائهن وذكرن أشجانهن، فقالت الكبرى:

عجبتُ له إذ زارَ في النوم مضجعي
ولو زارني مستقيظاً كان أعجبا

وقالت الوسطى:

وما زارني في النوم إلاّ خيالُهُ
فقلت له: أهلاً وسهلاً ومَرْحَبا

وقالت الصغرى:

بنفسي وأهلي مَن أرى كلّ ليلةٍ
ضجيعي وريّاه[5] من المسكِ أطْيَبا

وفي أسفل الكتاب مكتوب: رحم اللَّه امرأ نظر في كتابنا وقضى بالحقّ بيننا ويَجُرْ في القضيّة".

قال: فأخذ الكتاب فتى، فكتب في أسفله:

---

[1]- التحف: اتخذ لنفسه لحافاً، وهو كناية عن الزواج.

[2]- الوِرْدُ: الورود أي المجيء.

[3]- مجمع الأمثال للميداني ج٢ ص٣٥.

[4]- السرحة: الشجرة.

[5]- الريّا: الريح الطيبة.

أُحدّثُ عن حُور تحدّثنَ مرَّةً *** حديثَ امرئٍ ساسَ الأمورَ وجرَّبا[1]
خَلَوْنَ وقد غابت عيونٌ كثيرةٌ *** مِن اللائى قد يَهْوَيْنَ أن يتغيّبا
فَبُحْنَ بما يُخفينَ من لاعج الهَوَى[2] *** معاً واتَّخذنَ الشِّعرَ مَلْهىً ومَلْعَبَا
عجبتُ لهُ إذ زارَ في النوم مَضجَعي *** ولو زارَني مستقيظاً كان أعجبا
إذا أُخْبِرتْ ما أُخْبِرتْ وتضَاحكتْ *** تنّفستِ الأخرى وقالت تطرَّبا
وما زارني في النومِ إلاَّ خيالهُ *** فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومَرْحَبا
وشَوَّقتِ الأخرى وقالت مجيبةً *** لهنَّ بقولٍ كان أشهى وأعذبا
بنفسي وأهلي أن أرى كلَّ ليلةٍ *** ضجيعي وريّاه المسك أطيبا
فلمَّا تبيّنتُ الذي قُلنَ وانبرى *** لي الحكمُ لم أترك لدى القول مُعْتِبا
قضيتُ لِصُغْراهنّ بالظرف إنّي *** رأيتُ الذي قالت إلى القلب أطربا

ظِباءُ مكّة

*قيل: بَيْنا عبد اللَّه بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، عليهم السلام، يطـوف بالبيـت إذا رأى امرأةَ تطوف وتنشد:

لا يقبلُ اللَّهُ مِن معشوقةٍ عَملاً *** يوماً وعاشِقُها غضبانُ مهجورُ
وكيف يأجَرُها في قتلِ عاشِقِها *** لكنَّ عاشِقها في ذاكَ مأجورُ

فقال عبد اللَّه للمرأة: يا أمَةَ اللَّه، مثل هذا الكلام في مثل هذا الموقـف! فقالـت: يـافتى، ألست ظريفاً؟ فقال: بَلَي. قالت: ألستَ راويةً للشعر؟ قال: بَلَى. قالت: أفلم تسمع الشاعر يقول:

بيضٌ غرائرُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ[3] *** كظِباءِ مكّة صَيْدُهُنَّ حَرامُ
يَحْسَبْنَ مِن لِين الحديثِ زَوانياً *** ويصدُّهنّ عن الخَنا[4] الإسلامُ[5]

قضاء عمر

* وروى زياد عن مالك عن محمد بن يحي بن حسان، أن جدته عاتبت جده في قلة إتيانه لها، فقال لها: أما أنا وأنت علي قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه؟ قالت: وما قضاء عمـر؟ قال: قضى أن الرجل إذا أتى امرأته عند كل طُهر فقد أدَّى حقها. قالت: أفتَرك الناس كلهم قـضاء عمر، وأقمتَ أنتَ وأنا عليه[6].

---

[1]- حور: نساء جميلات. ساس الأمور: أي دبرها.
[2]- لاعج الهوى: الحبّ الشديد.
[3]- أي نساء عفيفات.
[4]- الخنا: الفحشاء.
[5]- المرجع السابق ص٣٤٦.
[6]- العقد الفريد ج ٧ ص ١٣٤ .

إنَّ مريم تغتسل

*روى ضمرة عن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها[1] سرا، ثم قال لأهله: إن مـــريم كانت تغتسل في هذه الليلة فاغتسلوا، فاغتسل هو واغتسل أهله[2].

يوم الجمعة

* وكانت سكينة (بنت الحسين) تجيء يوم الجمعة فتقوم بازاء ابن مُطَير إذا صعد المنبـــر، فإذا شتم عليًا (رضي الله عنه) شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحرس يضربون جواريها.

طالق عشرين

*قال الأصمعي: كان بالمدينة قاض، يُقال له: فلان بن عبد المطلب بن حنْطب المخزومي قد أدركته، خاصمت إليه امرأة زوجها، وكانت قالت: أجعْتنى وأسأت إلىَّ ، والله ما تستطيع فئران بيتك أن يمشين من الجهد، وما يقمن إلا علي الوطن!

فقال: أنت طالق إنْ كن ما يقمن إلا علي الوطن، فخبرته بما قالت وقال: فقال ابن المطلب يطلب له المعاذير: وربك إن الإبل لتكون بالمكان الجديد الخسيس المرعى فتقيم به لحب الـــوطن، فقال الزوج حين رآه يحتال لئلا يفرق بينهما: كأنما أشْكلت عليك هي طالق عشرين[3].

ضيِّق الله عليهم!

*وقيل لامرأة كانت تُطلق كثيرا: ما بالك تُطلقين؟

قالت: يريدون التضييق علينا ضيق الله عليهم[4]

علام تمسكها

*وحدّث العتبي قال: جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة إلى عبد الرحمن بـــن الحكـــم وهو علي الكوفة، فقال: إن امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن، فقالت: نعم يا مـــولاي غيـــر

---

[1]- وطئها: ضاجعها وجامعها.

[2] - الأذكياء ص ١١٩ .

[3] - عيون الأخبار ج ٤ ص ١٢٤ .

[4]- المرجع السابق ج ٤ ص ٧١.

متعمدة لذلك، كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدي علي رأسه، وليس عندي علم ولا يقوى بـــدني علي القصاص.

فقال الرجل: علام تمسكها، وقد فعلت بك ما أرى.

فقال: يا مولاي إنَّ صداقها عليّ أربعة آلاف درهم، ولا تطيب نفسي بفراقها.

قال: فإن أعطيتك الأربعة آلاف درهم تفارقها.

قال: نعم.

قال: هي لك.

قال: فهي إذن طالق.

فقال لها عبد الرحمن: احبسي علينا نفسك، وأنشأ يقول:

يا شيخ يا شيخ من دلاك بالغزل   قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها   فاعمد لنفسك نحو القرح والذلل[1]

طلقهانا

*وأتى بعض المجان لبعض القضاة، فقال: يا سيدي إنَّ امرأتي قحبانا، فقال له القاضـــي: طلقهانا. فقال: عشقانا، فقال: قوهانا[2].

ما لك عندنا ذنب غيره

* وطلق رجل امرأته فقالت: أبعد صحبة خمسين سنة! فقال: ما لك عندنا ذنب غيره[3].

الحجة

*وادَّعى رجل عند قاض علي امرأة حسناء بديْن، فجعل القاضي يميل إليها بالحكم، فقـــال الرجل: أصلح الله القاضي، حجتي أوضح من هذا النهار.

فقال له القاضي: أسكت يا عدو الله فإن الشمس أوضح من النهار، قمْ لا حق لك عليها.

فقالت المرأة: جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته.

فقال الرجل: لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها[1].

[1]- المستطرف ج ٢ ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

[2]- المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧٣ .

[3]- العقد الفريد ج ٢ ص ١١٨.

كيف بمنْ يرى الأمر عيانا !

*ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة، فقال الرجل للقاضي: يا سيدي لا تعجل عليَّ حتى أقص عليك قصتي، إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر، وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية ، وفوق القبة جمل، وأنا علي ظهر الجمل، وأن الجمل يطأطأ برأسه ليشرب من البحر، فإذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف، فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه، وقال: يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه، فكيف بمنْ يرى الأمر عيانا[2].

قضاء وابتسام

*وحدَّث علي بن القاسم القاضي، قال سمعت أبي يقول: كان موسى بن إسحاق لا يُرى مبتسما قط.

فقالت له امرأة: أيها القاضي لا يحل أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان.

قال: ولِمَ؟

قالت: لأن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "لا يقضى القاضي بين اثنين وهو غضبان"، فتبسم[3].

ومتى علمتِ؟

*وقال إسماعيل بن حمادة بن أبي حنيفة: ما ورد عليَّ مثل امرأة تقدّمت، فقالت: أيها القاضي، ابن عمى زوجني من هذا ولم أعلم، فلما علمت رددت، فقلت لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت ما علمت، قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقت ما رددت، فما رأيت مثلها[4].

---

[1] – المستطرف ج٧ ص ٣٧٣

[2]– المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧٣ .

[3]– الأذكياء ص ٢٤٦ .

[4]– المرجع السابق ص ٢٤٦ .

قد أجزت!

*حدَّث الرشيد رجل فقال: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلَّق في يوم خمس نسوة ، قال: إنما يجوز ملك الرجل علي أربع نسوة فكيف طلق خمسا؟ قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوما فوجدهن متلاحيات متنازعات، وكان شنطيرا[1]، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلا من قبلك – يقول ذلك لامرأة منهن– اذهبي فأنت طالق، فقالت له صاحبتها: عجلت عليها الطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا[2].

فقال لها: وأنت أيضا طالق.

فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين.

فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضا.

فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساؤك إلا بطلاق.

فقال لها: وأنت طالق أيضا.

وكان ذلك بمسمع جاره له فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلي قومك بالضعف إلا لما بلوه[3]منكم ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة.

قال: وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إنْ أجاز زوجك، فأجابه من داخل البيت قد أجزت قد أجزت[4]!

كلام الله يمحوه النهار

*حدَّث أبو جعفر قال: بينا محمد بن زبيدة الأمين في قصر له، إذ مرّ بجارية له سَكْري، وعليها كساء خز تسحب أذياله فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين أنا علي ما ترى، ولكن إذا كان في غد إن شاء الله! فلما كان من الغد مضى إليها فقال لها: الوعد! فقالت: يا أمير المؤمنين أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار؟ فضحك وخرج إلى مجلسه.

---

[1]– الشنطير : السيئ الخُلق الفحاش.

[2]– حقيقا: جديرا.

[3]– بلوه: خبروه .

[4]– العقد الفريد ج ٧ ص ١٢٩.

لا حاجة لكِ

*وقيل مرّ الحجاج متنكرا فرأته امرأة، فقالت: الأمير ورب الكعبة، فقال: كيف عرفتني؟ فقالت: بشمائلك. قال: هل عندك من قِرى؟[1] قالت: نعم، خبز فطير، وماء نمير، فأحضرته فأكل، فقال: هل لك أن تصاحبيني وتصلحي ما بيني وبين امرأتي؟ فقالت: هل عندك من خصال تغنى؟ قال: نعم، قالت: فلا حاجة لكِ إلى أحد يصلح بينكما إذا[2].

إن مزارها قريب!

* حكى ابن الجوزي أن رجلا قعد على جسر بغداد، فأقبلت امرأة من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي فاستقبلها شابا، فقال لها رحم الله ابن الجهم ، فقالت ورحم الله المعرى، ولم يقفا بل مرّا مشرقا ومغربا، قال: فتبعت المرأة، وقلت لها: إنْ لم تقولي لي ما قلتما فضحتك! فقالت: أراد قول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى!

وأردت قول أبي العلاء المعرى:

يا دارها بالحزْن إنَّ مزارها قريب   ولكن دون ذلك أهوال![3]

سرعة بديهة

*نظر رجل إلى امرأته وهى صاعدة في السلم، فقال لها: أنت طالق إن صعدت ، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فرمت نفسها إلى الأرض ، قال لها: فداك أبي وأمي إنْ مات الإمام مالك احتاج إليك أهل السنة في أحكامهم[4].

---

[1]- القِرى: الضيافة.

[2]- الكشكول ج ٢ ص ٣٧٣ .

[3]- تحفة العروس ص٢٨٤.

[4]- المستطرف ج١ ص٤١.

دبيرة مثل الأُبَيرة

*وكانت سُكينة عفيفة سلمة برزة من النساء ظريفة مزاحة، قيل لها: أمك فاطمة يا سكينه وأنت تمزحين كثيرا، وأختك لا تمزح، فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة فاطمة، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام؛ تعنى آمنة بنت وهب أم رسول الله.

ولسعتها دبيرة فقالت: لها أمها، ما لك يا سيدتي؟ فضحكت، وقالت: لسعتني دبيرة مثل الأبيرة أوجعتني قُطيْرة.

أرجْه وأخاه!

*وقيل أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لأصحابه: ما تقولون فيها؟ قالوا: عاجلها بالقتل يا أمير المؤمنين.

فقالت الخارجية: لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج.

قال: ومَنْ هو صاحبي؟

قالت: فرعون، استشارهم في موسى عليه السلام، فقالوا: أرْجه وأخاه[1].

نظرة

*وأُتى بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر إليه، فقيل لها: الأمير يكلمك، وأنت لا تنظرين إليه.

فقالت: إني لأستحي أن أنظر إلى منْ لا ينظر الله إليه[2].

الحلية

*ولما خرجت الخوارج بإلأهواز، أخذوا امرأة فهموا بقتلها، فقالت لهم: أتقتلون "مَنْ يُنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين"، فأمسكوا عنها[3].

[1]- المرجع السابق ج ١ ص ٨٦ .

[2]- العقد الفريد ج ٧ ص ١١١.

[3]- المرجع السابق .

أين قدرة المخلوق من الخالق!

*وقال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأعدّنّكم عدّا ولأحصدنكم حصدا!

قالت له: الله يزرع وأنت تحصد، فأين قدرة المخلوق من الخالق[1]!

أشكو إليك قلة الجرذان

*وقفت امرأة علي قيس بن سعد بن عبادة فقالت له: أشكو إليك قلة الجرذان.

قال: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزا ولحما وسمنا[2].

حبُّ الوطن

*وخاصمت امرأة زوجها في تضيقه عليها، فقالت: والله ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن! وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران[3].

احتفظ به

*وقال أبو حنيفة: خدعتني امرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت: احتفظ به حتى يجيء صاحبه[4].

مريم الصناع

*أقبل شيخ علي أصحابه فقال: وهل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنها كانت من ذوات الإقتصاد وصاحبة إصلاح، قالوا: فحدثنا عنها، قال:

"نوادرها كثيرة وحديثها طويل، ولكنى أخبركم عن واحدة فيها كفاية.

قالوا: وما هي؟

قال: زوجت ابنتها وهى بنت اثنتي عشرة سنة، فحلتها الذهب والفضة وكستها المروى[5]والوشى[1]والقز[2]والخز[3]وعلقت المعصفر[4]ودقت الطيب وعظمت أمرها في عين

---

[1]- المرجع السابق .

[2]- المرجع السابق ج ١ ص ١٧٥ .

[3] - تحفة العروس ص ٢٨٤ .

[4] - الأذكياء ص ٢٥٣ .

[5]- المروى : ثياب منسوبة إلى بلد في العراق على شط الفرات "مرو".

الختن[5]ورفعت من قدرها عند الأحماء[6] فقال لها زوجها: أنّي لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله! قال: دعي عنك وهاتي التفسير، والله ما كنت ذات مال قديما ولا ورثته حديثا، وما أنت بخائبة في نفسك، ولا في مال بعلك، إلا أن تكوني قد وقعت علي كنز، وكيف دار الأمر، فقد أسقطت عنى مؤونة وكفيتني هذه النائبة، قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة، وكنا كما قد علمت نخبز في كل يوم مرة، فإذا اجتمع من ذلك مكوك[7]بعته، فقال لها زوجها: ثبّت الله رأيك وأرشدك فقد أسعد الله من كنت له سكنا وبارك لمن جعلت له إلفا، ولهذا وشبهه قال رسول الله "من الذّود[8] إلى الذّود إبل "، وإني لأرجو أن يخرج ولدك علي عرقك الصالح وسلي[9]مذهبك المحمود، وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضية ٠

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلّوا عليها ثم رجعوا إلى زوجها فعزوه علي مصيبته وشاركوه حزنه[10].

اللهم اغفر لأم أوفى!

*قيل: سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أعرابيا يقول: (اللهم اغفر لأم أوفى).

قال: ومَنْ أم أوفى؟

قال: امرأتي وإنها لحمقاء مرغامة [11] أكول قامة [12] لا تبقى لها حامة [1] ، غير أنها حسنان فلا تفرك[2]، وأم غلمان فلا تترك[3] .

---

[1]– الوشي : الثياب المزركشة المنقوشة .

[2]– القز : الثياب الحريرية.

[3]– الخز : الحرير .

[4]– المعصفر : ما صبغ بالعصفر وهو أصفر اللون .

[5]– الختن : زوج الابنة ومن كان من قبله كالأب والأخ.

[6]– الأحماء : المفرد حمو وهو أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل .

[7]– المكوك : مكيال يسع ضعف رطل إلى ثماني أواق .

[8]– الذود : ما بين الاثنين والتسع أو ما بين الثلاث والعشر من الإبل.

[9]– السلي : غشاء رقيق يكون فيه الجنين في بطن أمه .

[10]– البخلاء للجاحظ ص٥٥ – ٥٦ .

[11]– المرغامة : المغضبة لزوجها.

[12]– القامة : الكانسة للطعام بحيث لا تبقى منه شيئا.

أما في وجهي ما يشغلك عن ذا؟

*ودعت أبا الحرث جمّيز واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداك، لا أسمع للغذاء ذكرا ، قالت: أما تستحي، أما في وجهي ما يشغلك عن ذا؟ قال: جعلني الله فداك، لو أنَّ جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئا لكره كل منهما الآخر وافترقا.

أنا أسدة

*وفي رواية عن خالد الحذاء قال: خطبت امرأة من بنى أسد فجئت لأنظر إليها، وبيني وبينها رواق يشف[٤]، فدعت بجفنة[٥]مملوءة ثريدا مكللة باللحم، فأتت على آخرها، وأتت بإناء مملوء لبنا فشربته حتى كفأته على وجهها[٦]، ثم قالت: يا جارية ارفعي السجف، فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذا شابة جميلة، فقالت:

"يا عبد الله، أنا أسدة على جلد أسد، وهذا مطعمي ومشربي، فإن أحببت أن تتقدم فافعل".

فقلت: أستخير الله وأنظر، فخرجت ولم أعد[٧].

أربعون يوما

*حُكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عُقم امرأته، وأنها لا تلد، فجسَّ الطبيب نبضها، وقال:

لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوما، وقد دلّ النبض عليه.

فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة ولم تمت.

---

[١]- الحامة : خاصة الإنسان من أهله وأولاده.

[٢]- تفرك : تكره.

[٣]- البيان والتبيين للجاحظ ج٢ ص٤٧.

[٤]- يشف : يظهر ويستبان ما خلفه.

[٥]- الجفنة : وعاء من الفخار أو غيره.

[٦]- كفأته على وجهه : أي لم تكتفِ بشرب كل ما فيه بل أحنته لتسحب كل ما فيه حتى أنه كاد أن يلامس وجهها.

[٧]- العقد الفريد ج ٧ ص ٩٤.

فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له: لم تمت.

فقال الطبيب: قد علمت ذلك ولكنها ستلد بإذن الله.

فقال: كيف ذاك؟

قال: رأيتها سمينة، وقد انعقد الشحم علي فم رحمها، فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة[١].

العبلات

*أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: كانت عبلة بنت عبيد بن خالد عند رجل من بنى جشم بن معاوية، فبعثها بأنْحاء سَمن تبيعها له بعكاظ، فباعت السَمن وراحلتين كان عليهما، وشربت بثمنها الخمر. فلما نفذ ثمنها رهنت ابن أخيه، وهربت فطلقها وقالت في شربها للخمر:

شربت براحلتي محْجن فيا ويلتى محْجن قاتلي

وبابن أخيه علي لذة ولم أحتفل عذل العاذل

قال: فتزوَّجها عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا، وهم العبلات.

الرعونة في الطيران

*وكان بالكوفة امرأة حمقاء يُقال لها مُجيبة. ففقد عيناوة (من مجانين الكوفة) فتى كان أرضعته مجيبة، فقال لمّا وجده: كيف لا تكون أرعن ومُجيبة أرضعتك؟ فوالله لقد زقّت لي فرخا فما زلت أرى الرعونة في طيرانه.

النذر

*قال الشيباني: نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها، فذبحتها وجاءت بها إليه، فقالت: يا أبا جعفر هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي! وألمسها في إناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلّت عن كبدي، فنذرت الله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون

---

[١]- إحياء علوم الدين للغزالي عن كتاب ألف حكاية وحكاية ص ٢٨١.

فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه، فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم[١].

حوتٌ طريٌّ في عصيدة!

*حجت الخيزران[٢]، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة[٣]، قالت: سلوه ما أمره، فقالوا له: ما أمرك؟ فقال: ادنوني إلي محملها، قالت: أدنوه، فأدني، فقال: أيتها السيدة، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم، قالت: فمه[٤] قال: تهبين لي جارية من جواريك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي وأطالت كدي، وقد عاف جلدي جلدها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها، فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت، فلما رجعت تلقاها وذكرها وخرج معها إلي بغداد، فأقام حتى غرض[٥] ثم دخل على أمَّ عبيدة حاضنة موسى وهارون، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلي الخيزران فيها:

أبلغي سيدتي بالله يا أمّ عبيدهْ
أنها أرشدها الله وإن كانت رشيدهْ
وعدتني قبل أن تخرج للحج وليدهْ
فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيدهْ
كلما أخلفن أخلفت لها أخرى جديدهْ
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيدهْ
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديدهْ[٦]
وجهها أقبح من حوتٍ طريٍّ في عصيده
ما حياة مع أنثى مثل عرسي بسعيدهْ

فلما قُرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله:

---

[١]- أخبار النساء في العقد الفريد.

[٢]- الخيزران: زوجة المهدي الخليفة العباسي ، ووالده الهادي وهارون الرشيد ، كانت ذكية ومتفقهة ، ساعدت ابنها الرشيد على تبوأ سؤدوة الحكم .

[٣]- أبو دلامة : هو زند بن الجون ، كوفي أسود ، مولى لبني أسود ، شاعر ونديم للخلفاء .

[٤]- مه : اسم فعل مبنى على السكون بمعنى " كف " .

[٥]- غرض : ضجر وسئم .

[٦]- القديدة : اللحم المقدد ، والثوب الخلق .

"حوتٍ طريٍّ في عصيدة"

وجعلت تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة، فقالت لها: خذي كل مالك في قصري، ففعلت ثمّ دعت ببعض الخدم، وقالت له: سلمها إلي أبي دلامة، فانطلق بها فلم يصادفه في منزلـــه، فقال لامرأته: إذا رجع فادفعيها إليه، وقولي له: تقول لك السيدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها، فقالت له: نعم.

فلما خرج دخل ابنها فوجد أمه تبكي، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردت أن تبرني يوماً من الدهر فاليوم، فقال: قولي ما شئت فإني أفعله، قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها[1] فتحرم عليه، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك، ففعل ودخل إلي الجارية فوطئها ووافقها ذلك منـــة، وخرج.

ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها وذهب ليقبلها، فقالت له: ما لكَ ويلك؟ تنح، وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك، فقال لها: أبهذا أوصتك السيدة! فقالت: إنها قد بعثت بي إلي فتي من حاله وهيئته كيت وكيت، وقـــد كان عندي آنفاً، ونال مني حاجته، فعلم أنه قد دُهي من أم دلامة وابنها، فخرج إليه أبو دلامة فلطمه ولببه[2] وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي، فمضى به ملبباً حتى وقف على باب المهدي، فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله، فلما دخل قال له: مالك ويلك؟ قال: عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه، ولا ترضيني إلا أن تقتله، فقال له: ويلك فما فعـــل؟ فـــأخبره الخبـــر، فضحك حتى استلقي ثم جلس فقال له أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال: علـــى بالـــسيف والنّطع[3] فقال له دلامة: قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين، فاسمع حجتي قال: هات، قال: هذا الشيخ أصفق[4] الناس وجهاً، مكث مع أمي أربعين سنة وما غضبت، وعندما خالفته مرة غضب وصنع بي ما ترى، فضحك المهدي أكثر من ضحكة الأول، ثم قال: دعها يا أبا دلامة وأنا أعطيك خيراً منها، قال: على أن تخبأها لي بين السماء والأرض، وإلا نالها والله كما نال هذه، فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، ووهب له جارية أخرى كما وعده[5].

---

[1]- تطؤها: تجامعها.

[2]- لببه : أخذ بتلبيبه ، أي : جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جره .

[3]- النّطع : بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس في الماضي.

[4]- الصفق : الوقح .

[5] - الأغاني ج١٠ ص ٣١٠ – ٣١٢ .

الطلاق المربح

*حدث أحد التجار المسافرين قال: كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص، نتحدث، فبينما نحن جلوس يوماً نتحدث، وإذا بامرأة بقربنا في أصل سارية[1] فقال لها رجل من التجار من البغداديين ما شأنك؟ فقالت: أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين ولم أسمع له خبراً، فقصدت القاضي ليزوجني فامتنع، وما ترك لي زوجي نفقة، وأريد رجلاً غريباً يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوج، أو يقول: أنا زوجها، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة، وأتزوج، فقال لها الرجل: تعطيني ديناراً حتى أصير معك إلي القاضي وأذكر له إني زوجك وأطلقك، فبكت، وقالت: والله ما أملك غير هذه، وأخرجت أربع رباعيات، فأخذها منها ومضى معها إلي القاضي، وأبطأ علينا فلما كان الغد لقيناه فقلنا: ما أبطأك؟ فقال: دعوني، فإني حصلت في أمر ذكره فضيحة، قلنا: أخبرنا، قال: حضرت معها إلي القاضي فادعت على الزوجية والغيبة عشر سنين، وسألت أن أخلي سبيلها فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضي، أتبرئينه، قالت: لا، والله لي عليه صداق ونفقة عشر سنين، وأنا أحق بذلك، فقال لي القاضي: أديها حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها، فورد على ما بلسني[2] ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها فلا أصدق، فتقدم القاضي بتسليمي إلي صاحب الشرطة، فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني، وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي، الأربع رباعيات التي أعطتني ومثلها من عندي، فضحكنا منه، فخجل وخرج من مصر فلم يعرف له خبر[3].

السواك

*نظر رجلٌ إلى طاقة عالية، فوجد فيها امرأة جميلة، وهى تستاك[4].

فقالت له: أتحب سواكاً ؟

فقال لها: لا أحب سواك!

قالت له: ما ساقك إلى هنا؟

قال: الهنا!

قالت: فما أوقفك للهوا؟

قال: الهوى!

---

[1] – السارية : العمود في الجامع .

[2] – بلسني : أدهشني وحيرني وجعلني لا أفوه بكلمة .

[3] – الأذكياء : ص ٢٣٠ .

[4] – تستاك: تنظف أسنانها بالسواك.

قالت له: ما اسمك؟

قال لها: وجهك!

قالت : أدخل أبا علي (أي أن اسمه الحسن).

كاد وعجبت!

*قيل: أتت ابنة الخُسّ[1] عكاظ[2]، فأتها رجلٌ يمتحن عقلها ويمتحن جوابها، فقال لها : إني أريد أن أسألك.

قالت: هات.

قال: كاد.

فقالت: المنتعل[3] يكون راكبا.

قال: كاد.

قالت: الفقر يكون كفراً.

قال: كاد.

قالت: العروس تكون ملكاً.

قال: كاد.

قالت: النعامة تكون طائراً.

ثم قالت للرجل: أسألك؟

قال: هاتي.

قالت: عجبت.

قال: السباخ لا ينبت كلؤها[4]، ولا يجف ثراها.

قالت: عجبت.

قال: للحجارة لا يكبر صغيرها، ولا يهرم كبيرها[5].

---

[1] ابنة الخُسّ : هي هند بنت الخس بن حابس الإيادية، فصيحة جاهلية، كانت ترى سوق عكاظ، ولها أخبار فيه. وتلقب بالزرقاء. (انظر: "الأعلام" للزركلي ج٩ ص١٠٣).

[2] عكاظ : اسم سوق للعرب في الجاهلية.

[3] المنتعل: لابس الحذاء.

[4] السباخ: من الأرض ما لم يحرث ولم يغمر، الكلاء : العشب.

هي أحق بابنها منك

*جرى بين أبى الأسود[1] الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه وأراد أخذه منهـــا، فسارت إلى زياد[2] وهو والى البصرة، فقالت المرأة:

"أصلح الله الأمير، هذا ابني كان بطني وعاءه، وحجري[3] فناءه، وثدي سقاءه، أكلؤه[4] إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا اســتوفى[5] فــصاله، وكملـــت خـــصاله، واستوكعت[6] أوصاله، وأملت نفعه، ورجوت[7] دفعه، أراد أن يأخذه منى كرهـــا، فـــآدني[8] أيهـــا الأمير، فقد رام[9] قهري، وأراد قسري[10]".

فقال أبو الأسود: أصلحك الله، هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبـــل أن تـــضعه، وأنام أقوم عليه فى أدبه، وأنظر فى أوده[11]، وأمنحه علمى، وألهمه حلمى، يكمل عقله، ويـــستحكم فتله[12]".

فقالت المرأة: صدق، أصلحك الله، حمله خفا، وحملته ثقلا، ووضـــعه شـــهوة، ووضـــعته كرها.

فقال زياد : أردد على المرأة ولدها، فهي أحق به منك، ودعني من سجعك.

(*) المختار للبردونى ص ١٨٠ – ١٨١.

(1) أبو الأسود الدؤلى : هو ظالم بن عمرو الدؤلى الكنانى. واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء. (أنظر الأعلام للزركلى ج٣ ص٢٣٦).

(2) زياد : هو زياد بن أبيه، الذي استخلفه معاوية بنسبه، فأصبح يعرف بزياد بن أبى سفيان.

(3) حجرى : حضنى.

(4) أكلؤه : أرعاه.

(5) استوفى فصاله : أي أصبح فى السن الذي يحق للأب أن يلحقه به. فصاله : فطامه.

(6) استوكعت : اشتدت

(7) رجوت دفعه : أملت أن يدفع عنى.

(8) أدنى : قوني وأعنى.

(9) رام : أراد.

(10) قسرى : إجبارى.

(11) الأود : الكد والعناء.

(12) استحكم فتله : بلغ مرحلة النشاط والقوة.

خصال مكروهة

* عن سعيد بن جرير، عن أبيه قال : حدَّثني أبو عبيدة معمر بن المثنى، قال: تزوَّج فضالة بن عبد الله الغنوي امرأة بخراسان فأبغضته، فنافرته إلى قتيبة بن مسلم، قال له: هل بينك وبينها قرابة؟ قال: لا. قال: ففيم تحتمل هذا لها وقد جعل الله لك إلى الراحة منها سبيلاً؟ قال: إني أحبها، ولقد كنت أهزأ بالرجل تبغضه المرأة وهو يحبها فابتليت!!!

فقال قتيبة: فلا تحبن منْ لا يحبك، فهي والله تنظر إليك بعين فارك[1]، ثم قال لها: ما لك ويحك ولزوجك؟

قالت: أبغضته لخصال أذكرها: هو والله قليل الغيرة، سريع الطيرة، كثير العتاب، شديد الحساب، قد أقبل بخره، وأدبر ذفره[2]، واسترخى ذكره، وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يفيق سريعاً، وينطق رجيعاً، وهو أيضاً يأكل هرساً، ويمشي خلساً، ويصبح رجساً، لا يغتسل من جنابة، ولا يأمن شره أصحابه، إن جاع جزع، وإن شبع خشع.

فقال له قتيبة: أف لك! أنت قلت كما تقول، طلقها قبح الله رأيك، فطلقها[3].

من أدب النساء

* وقيل: إنَّ قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن أحمد بن طولون لما زُفت إلى المعتضد بالله أغرم بها. فوضع يوماً رأسه في حجرها، فلما نام، تلطفت في إزالة رأسه من حجرها، ووضعت تحته وسادة. وخرجت من البيت.

فلما استيقظ، غضب، وناداها فأجابته من قرب، فقال : وضعت رأسي في حجرك فذهبت عني؟

فقالت: لم أزل كالية لأمير المؤمنين.

قال: فما أخرجك عني؟

قالت: إن مما أدبني به أبي لا أجلس مع النيام، ولا أنام مع الجلوس.

فاستحسن ذلك منها[1].

---

[1] فارك : مبغض كارة.

[2] ذفره : أي رائحته طيبة كانت أو كريهة، وهي هنا تهجوه بذهاب رائحته الطيبة.

[3] بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢٨.

[1] أبناء نجباء الأبناء لبرهان الدين المكي.

إياك المزاح!

*قال أحدهم: خرجت في بعض الليالي السود، فإذا بجارية كأنها صـــنم، فراودتهـــا عـــن نفسها، فقالت: يا هذا، ما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لم زاجر من دين؟ فأخجلني كلامها، فقلت: إنما كنت مازحاً، فقالت:

وإياك إياك المزاح فإنه يطمع فيك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد حيائه ويورث بعد العز صاحبه ذلا[1]

أطيل أم أوجز؟

* عن الموائن، قال: قيل لابنة النعمان بن المنذر: في أي شئ كانت لذة أبيك؟ قالت: فـــي الشراب ومحادثة ذوى الألباب، قيل: فصفى لنا ما كنتم فيه؟ قالت: أطيل أم أوجز؟ قيل: أوجـــزي. قالت: أصبحنا والناس يغبطوننا فلم نمس حتى رحمنا عدونا!

يوم سرور رهن بيوم مكروه

* عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخلت امرأة من بنى مروان على عبد الله بـــن علي بالشام فبكت، فقال: مم تبكين؟ أجزعا لأهلك على ما أصابهم؟ قالت: لا وال! ولكنه ما كـــان يوم سرور إلا وهو رهن بيوم مكروه وما امتلأت دار حَبرة إلا امتلأت عبرة.

أين مكوكبها؟!

* عن الأصمعي: عن أبان بن تغلب عن رجل سماه قال: بينا أنا ذات يوم البادية فخرجت في بعض ليالي الظلم، فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها على نفسها فقالت: ويحك! أما لك زاجـــر من عقل إذا لم يكن لك من دين قلت لها : والله لا يرانا شئ إلا الكواكب. قالـــت: ويحـــك فـــأين مكوكبها؟!

---

[1] المستجاد للتنوخي ص ١٨٧.

أخطأ عمر وأصابت امرأة

*ركب عمر – رضى الله عنه – المنبر، فقال: لا أعرف من زاد الصداق على أربعمائـــة درهم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار فى ذلك تقوى أو مكرمة لكت سبقتموهم إليها.

ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت:

يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا في صدقاتهم على أربعمائة؟

قال: نعم.

قالت: أما سمعت الله يقول في القرآن:

"وأتيتم إحداهن قنطاراً [1]".

فقال: اللهم غفراك، كل الناس أفقه من عمر.

ثم رجع، فركب المنبر، فقال:

أيها الناس، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صدقاتهن على أربعمائة، فمن شـــاء أن يعطـــى من ماله ما أحب أو ما طابت نفسه، فليفعل[2].

ظننتك ساهرا علينا

* دخلت إحدى العجائز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنـــوده الـــذين ســـرقوا مواشيها عندما كانت نائمة. فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهري على مواشيك، لا أن تنـــامي. فأجابته: ظننتك ساهراً علينا يا مولاى، فنمت مطمئنة البال. فتنبَّه من قولها.

---

[1] سورة النساء، الآية (٢٠).

[2] حياة الصحابة ج٢ ص ٧٥٨، والأذكياء لابن الجوزى ص ١٨٢.

ضعف افتخارك يا حسّان

*عرضت الخنساء شيئاً من شعرها في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم ..

فقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين، ولولا أن الأعمى – يعني الأعشى الشاعر – أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم وكان ممن عرض شعره حسان بن ثابت الشاعر المعروف.

فغضب وقال للنابغة: أنا أشعر منك ومنها.

فقال النابغة الذبياني: أجيبيه يا خنساء:

فقالت الخنساء: يا حسان .. ما هو أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الآن؟

قال حسان: أجوده قولي:

لنا الجفنان الغر يلمعن بالضحى

فقالت الخنساء: والله يا حسان لقد ضعف افتخارك في ستة مواضع:

١– فقد قلت الجفنات وهي ما دون العشر، ولو قتل الجفنان لكان أكثر.

٢ – وقتلت الغر والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً.

٣ – وقلت يلمعن واللمع شئ يأتي بعد شئ، ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان.

٤ – وقلت بالضحى ولو قلت بالدجي لكان أكثر للطارقين.

٥ – وقلت أسياف وهي ما دون العشرة، ولو قلت سيوف لكان أكثر.

٦ – وقلت دماً، والدماء أكثر من الدم.

فسكت حسان ولم يحر جواباً[(١)] .

يكرهن أولاد الضرائر

*حدَّث أحدهم قال: تزوَّج رجل امرأة من قومه، فولدت له داوداً ثم ماتت. ثم تزوَّج أخرى، فأولعت[١] بداود، وأمرت أباه أن يجفوه. ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت:

---

(١) الأغاني للأصفهاني ج٤ ص١٣٤–١٦٩.

١– أولعت به: لجت في أمره وحرصت على إيذائه.

أخرجه عني. فخرج به وقد أردفه[1] خلفه إلى أن انتهى به إلى أرض جرداء فليس فيها شئ، فألقى سوطه متعمداً، وقال: أي داود، انزل فناولني سوطي. فنزل فدفع بعيره وناداه:

أداود إن الأمر أصبح ما ترى *** فانظر داود لأي أرضٍ تعمد

فقال له داود:على رسلك[2] فوقف له فناداه

وبأي ظنك أن أقيم ببلدةٍ *** جرداء ليس بغيرها متلدد[3]

فرجع إليه أبوه وقال له: أنت واللَّه ابني حقاً، ثم رده إلى منزله، وطلَّق امرأته[4].

عجوز صالحة

* قال جعفر محمد بن الفضل الضميري: كان في بلدنا عجوز صـالحة كثيـرة الـصيام والصلاة، وكان ابن صيرفي منهمك على الشراب واللعب وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهـاره، ثـم يعود إلى منزله، فيخبأ كيسه عند والدته، فدخل إلى الدار لص وهو لا يعلم، فاختبـأ فيهـا، وسـلَّم الابن كيسه إلى أمه وخرج وبقيت هي وحدها في الدار، وكان لها في دارها بيت مـؤزر بالـسياج عليه باب من حديد تجعل قماشها فيه والكيس، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فأفطرت بين يديه، فقال اللص: الساعة تقفله وتنام، وأنزل وأقلع الباب وأخذ الكيس، فلما أفطرت قامت تـصلي ومدت الصلاة ومضى نصف الليل تحير اللص، وخاف أن يدركه الصبح، فطاف في الدار، فوجـد إزارا جديدا وبخور فأتزر بالإزار، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الرجة ويصيح بـصوت غلـيظ ليفزع العجوز، وكانت جلدة، ففطنت أنه لص.

فقالت: منْ هذا بارتعاد وفزع؟

فقال: أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق لأعظـه وأعلمـه بمـا يمنعه عن ارتكاب المعاصي، فأظهرت أنها قد غشى عليها من الفزع.

وأقلت تقول: يا جبريل سألتك ألا رفقت به، فإنه وحيدي.

فقال اللص: ما أرسلت لقتله.

قالت: فيم أرسلت؟

---

[1] - أردفه: أركبه.

[2] - على رسلك: على مهلك.

[3] - متلدد: انتظار.

[4] - الأغاني للأصفهاني ج١٦ ص١٣٧٤.

قال: لأخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك. فإذا تاب رددته عليه.

فقالت: يا جبريل شأنك وما أمرت به.

فقال: تنحى عن باب البيت.

وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش، واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلا وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة[1] وجاءت بقفل فقفلته، فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة، نقب أو منفذ، فلم يجد، فقال افتحي لأخرج فقد اتعظ ابنك.

فقالت: يا جبريل أخاف أن أفتح الباب فتذهب عيني من ملاحظة نورك.

فقال: إني أطفئ نوري حتى لا يذهب بعينك.

فقالت: يا جبريل ما يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفني أنا لتغوير بصري، فأحسَّ اللص أنها جلدة[2]، فأخذ يرفق بها ويداريها وبذل التوبة.

فقالت: دعْ عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار، وقامت فصلَّت، وهو يسألها حتى طلعت الشمس، وجاء ابنها وعرف خبرها، وحدَّثته الحديث، فأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص[3].

أبو الذباب

*خطب عبد الملك بن مروان إلى عبد الرحمن يد ابنته.

فقالت: والله لا تزوجني أبو الذباب.

فطلبها يحيى بن الحكم فرضيت البنت به وبنى عليها[4].

فقال له عبد الملك: أما والله يا يحيى لقد تزوَّجت البنت أسود أفوه.

فقال يحيى بن الحكم: أما إنها أحبت مني ما كرهت منك.

وكان عبد الملك رديء الفم .. يدمى عليه الذباب.. فسمى أبا الذباب.

---

[1]- الرزة: حديدة يدخل فيها القفل ونحوه، جمعها رزات.

[2]- الجلدة: بلام ساكنة: القوية القلب.

[3]- نشوار المحاضرة للتنوخي ج١ ص٢٢٦.

[4]- بنى عليها: دخل بها وتزوجها.

فقه المرأة

*قال ابن الجوزي ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه، أنه إذا ارتاب بالشهود فرَّقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته، فقالت إحداهما: أخطأت لأن الله تعالى قال: "فتُذكر إحداهما الأخرى[1]"، فإذا فرَّقت زال المعنى الذي قصده الشرع، فأمسك.

بطيخة

* كان رجل يقف تحت روشن امرأة وهي تكره وقوفه، قالت: فجاء في بعض الأيام وعليه قميص ديبقي قد غسله عند المطري، وسقاه نشاء وتحته قميص رومي قالت: وكان للناس أترج سوسى في الأترجة ثلاثون رطلا. فأخرجت بطيخة وأشارت إليه: تعال خذْ هذه، فجاء فوقفت تحت الروشن، فقالت: أمسك حِجْرَك صلبا حتى لا يقع فتُكسر. فلزم حجره، فأخرجت البطيخة كأنها ترمى بها، وأخذت أترجه.

فرصّت بها في حجره فلم يردها شيء سوى الأرض، فجمعه وهرب مستحيا وما عاد بعدها[2].

لِمَ لا يحجر عليه هو

*بنى بعض أكابر البصرة دارا وكان في جواره بيت لعجوز يساوى عشرين دينارا وكان محتاجا إليه في توسيع الدار، فبذل لها فيه مئتى دينار، فلم تبعه، فقيل لها: إن القاضي يحجر عليك بسفهك حيث ضيعت مئتى دينار لما يساوى عشرين دينارا.

قالت: لم لا يحجر على منْ يشترى بمئتين ما يساوى عشرين دينارا؟

فأفحمت القاضي ومنْ معه جميعا وترك البيت في يدها حتى ماتت.

الناقة والسنور

*قال كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش، فقالت له: لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل الله تعالى، فخرج إلى الشام لكسب ثلاثمائة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة

---

[1]- سورة البقرة، الآية (٢١٤).

[2]- الأذكياء لابن الجوزي ص٢٥٦.

وكانت زعرة فأضجرته واغتاظ منها ومن زوجته حيث أمرته بالخروج فحلف بـــالطلاق ليبيعهـــا يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم وأخبر زوجته، فعمدت إلى سنور[1] فعلقتها في عنق الناقة، وقالـــت: أدخلها السوق وناد عليها منْ يشترى هذا السنور بثلاثمائة درهم والناقة بدرهم ولا فـــرق بينهمـــا، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول: ما أحسنك! ما أفرهك! لولا هذا الـــسنور الـــذي فـــي عنقك[2].

كيد الضرائر

*قال أبو العباس: لما مات عبد الملك بن مروان سمعت إحدى ضرات آمنة بها عند الوليد بأنها لم تحزن ولم تبكِ على عبد الملك كما بكى نظرائها.

فقال لها الوليد وسألها في ذلك: يا آمنة، أصحيح أنك لم تبكِ على عبد الملك كغيرك مـــن نظرائك؟

قالت آمنة: يا أمير المؤمنين، إنها كلمة صريحة أقولها بعد الإذن.

فقال لها الوليد: قولي، فليس أجدر منى بسماع الحق.

قالت آمنة: إذن أقول وأنا آمنة، لقد صدق القائل ساعيا كان أو شامتا .. أكنت أقول يا ليتـــه كان بقى كي يقتل أخا لى آخر كعمرو بن سعيد أو ماذا كنت قائلة يا تُرى؟

فسكت الوليد[3].

يكرهن أولاد الضرائر

*حدَّث أحدهم قال: تزوج رجل امرأة من قومه، فولدت له داوداً ثم ماتـــت. ثـــم تـــزوج أخرى، فأولعت[4] بداود، وأمرت أباه أن يجفوه. ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثـــرت عليـــه قالـــت: أخرجه عني. فخرج به وقد أردفه[5] خلفه إلى أن انتهى به إلى أرض جرداء فليس فيها شئ، فألقى سوطه متعمداً، وقال: أي داود، انزل فناولني سوطي. فنزل فدفع بعيره وناداه:

أداود إن الأمر أصبح ما ترى *** فانظر داود لأي أرضٍ تعمد

---

[1]- السنور: القطة.

[2]- حدائق الآزاهر ص٢٤٨.

[3]- مروج الذهب للمسعودي.

[4]- أولعت به: لجت فى أمره وحرصت على إيذائه.

[5]- أردفه: أركبه.

فقال له داود:على رسلك[1] فوقف له فناداه

وبأي ظنك أن أقيم ببلدةٍ *** جرداء ليس بغيرها متلدد[2]

فرجع إليه أبوه وقال له: أنت واللَّه ابني حقاً، ثم رده إلى منزله، وطلق امرأته[3].

حمارة الشيخ تضرط

*قال الجاحظ: كنت مجتازا في بعض الطرق، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكبا على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: وَيْ، حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها، فقلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلا ضرطت. فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت: كانت أم هذا منه، تسعة أشهر، في جهد جهيد؟[4]

تُعطي الأكفَّ من الرِّغاب

*حدّث الجاحظ، قال: حدّثني أبو نواس أنه غاب عن بغداد فقدم إليه رجل، فقال له: هل من خبر؟ قال: نعم، أنشد بعض الشعراء مدحا في زبيدة[5] وهي تسمع، فقال:

أَزُبَيدَة آبنة جعْفَر طُوبى لزائرك المُثابِ

تُعطين من رجليك ما تُعطي الأكفَّ من الرِّغاب

فوثب إليه الخدم يضربونه، فمنعتهم، وقالت: أراد خيرا فأخطأه، ومنْ أراد خيرا أحبُّ إلينا ممّن أراد شرا فأصاب. سمع قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك، وقفاك أحسن من وجه غيرك؛ وظن أنه إذ قال هذا كان أبلغ في المديح. أعطوه ما أمّل. وعرفوه ما جهل[6].

*ومن النساء المنسوبات إلى الحمق والغفلة:

ريطة بنت عمرو المرية

*وهي من أهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها بصنعتها ولم يكن لها نظير في فعلها، وكانت متناهية الحمق، تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتحكمه، ثم تأمر خادمها بنقضه قال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريها ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن.

---

[1]- على رسلك: على مهلك.

[2]- متلدد: انتظار.

[3]- الأغاني للأصفهاني ج١٦ ص١٣٧٤.

٣- أدب الجاحظ لحسن السندوبي ص١٧٠.

٤- زبيدة بنت جعفر: زوجة الخليفة هارون الرشيد وابنة عمه، وأم الخليفة الأمين.

[6]- الموشح للمزرباني ص ٥٣٨.

دغة الحمقاء

*"دغة" بنت مغنج، ومغنج هو ربيعة بن عجل، واسم دغة ماوية، ودغة لقب وكانت قد تزوجت صغيرة في بنى العنبر فحبلت، فلما جاءها المخاض ظنت أنها أحدثت، فقالت لضرتها: يا هنتاه هل يفتح الجعر[1] فاه[2]، قالت: نعم ويدعوا أباه[3]. فمضت ضرتها فأخذت الولد فبنو العنبر تنسب إليها فسُموا بنو الجعر لذلك.

ورأت يافوخ[4] ولدها يضطرب فشقته بسكين وأخرجت دماغه وقالت: أخرجت هذه المادة من دماغه ليسكن وجعه.

وذُكر عنها أنها كانت حسنة الثغر فولدت غلاما، وكان أبوه يقبله ويقول: بأبي دردرك. قالت: يا شيخ، كلنا ذو دردر. فقال: أعييتني بأشر فكيف بدردر (والأشر التحزير في أطراف الأحداث والدردر مغارز الأسنان)، فضُرب المثل بحمق دغة.

ربطة بنت عامر

*"ربطة " بنت عامر بن نمير كانت تعلّم رأس أولادها بالقزع[5] لتعرف أولادها من أولاد غيرها[6].

---

[1] -الجعفر: نحو السبع.

[2] - فاه: فمه، من الأسماء الستة التي ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء.

[3] - يدعوا: الأصل أن تُكتب بدون ألف.

[4] - يافوخ: الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل وهو فراغ بين عظام جمجمته في مقدمتها وأعلاها ولا يلبث أن تلتقي فيه العظام.

[5] - القزع: أي تحلق رأس ابنها وتترك مواضع متفرقة منه غير محلوقة تشبيها بقزع السحاب، والقزع يُنهى عنه شرعا.

[6] - أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ص ٢٥.

الباب الثاني

طرائف الجواري

ما شأنك في الوسط؟

*وقال دعبل[1] بن علي الشاعر: بينا أنا ذات يوم بباب الكرخ[2]، وأنا سائر وقد احتوى الفكر علي قلبي في أبيات شعر قد نطق بها اللسان من غير اعتقاد جنان فقلت:

دموع عيني لها انبساطٌ ونوم عيني به انقباضُ

فإذا أنا بجارية فائقة الجمال حوراء الطرف يقصر عن نعتها الوصف لها وجه زاهر ونور باهر فهي كما قال الشاعر:

كأنما أفرغت في قشر لؤلؤة في كل جارحة منها لها قمرُ

وهي تسمعني فقال:

هذا قليل لمنْ دهتْه بلحظها الأعينُ المِراضُ[3]

فأجبتها:

فهل لمولاي عطفُ قلبٍ أو للذي في الحشا انقراضُ؟

فأجابتني فقالت:

إن كنت تبغي الوداد منا فالود في ديننا قِراضُ

قال دعبل: فلم اعلُمني قبلها خاطبت جارية تقطع الأنفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الأرواح ببراعة منطقها، وتذهل الألباب برخيم نغمتها مع تلاعة[4] جِيد ورشاقة قد وكمال عقل، وبراعة شكل، واعتدال خلق، فحار والله البصر وذهب اللُب وجل الخطب وتلجلج اللسان وتغللت الرجلان وما ظنك بالحلفاء[5] إذا دنت من النار؟ ثم ثاب إلى عقلي وراجعني حلمي فذكرت قول بشار:

لا يمنعنك من مخدرة قول تغلظه وأن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

هذا لمنْ حاول ما دون الطمع فيه اليأس منه، فكيف بمنْ وُعد قبل المسألة وبذل قبل الطلبة؟ فقلت مسمعا لها:

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقا إلى مشتاقِ؟

فقالت مجيبة لي في أسرع من نفس:

---

[1]- هو دعبل بن على الخزاعي ، شاعر معروف.

[2]- باب الكرخ : محلة في بغداد.

[3]- دهته : أصابته بداهية ، والأعين المراض: الأعين التي فيها فتور وانكسار.

[4]- تلاعة جيد : طوله.

[5]- الحلفاء : الأمة الصخابة.

ما للزمان يقال فيه وإنما   أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال دعبل: فلحظتها ومضيت وتبعتني وذلك في أيام إملاقي[1]، فقلت: ما لي إلا منزل مملـم صريح الغواني[2]، فسرت إلى بابه، فاستوقفتها وناديته، فخرج فقلت له: أكمل الخير معـي ، وجـةً صبيح يعدل الدنيا بما فيها وقد حصل على ضيقة وعسر، فقال: قد شكوت ما دكت أباديك بشكواه! ائت بها. فلما دخلت قال: والله لا أملك غير هذا المنديل فقلت: هو البغية فناولنيه فقـال: خـذه لا بارك الله لك فيه، فأخذته فبعته بدينار وكسر، فاشتريت لحما وخبزا ونبيذا، وصرت إليه فـذا همـا يتساقطان حديثا كأنه قطع الروض الممطور قال: ما صنعت؟ فأخبرته قال: كيـف يـصح طعـام وشراب وجلوس مع وجه نظيف بلا نقل ولا ريحان ولا طيب؟ اذهب فالطف لقمام ما كنت أوله.

قال: فخرجت فاضطربت في ذلك حتى أتيت به فألفيت باب الدار مفتوحا، فدخلت فـإذا لا يرى لهما ولا لشيء مما أتيت به أثر فسقط في يدي، وقلت: أرى صاحب الربع أخـذهما! فبقيـت متلهفا حائرا أرجم الظنون وأجيل الفكر سائر يومي، فلما أمسيت قلت في نفسي: أفـلا أدور فـي البيت لعل الطلب يوقفني على أثر؟ ففعلت: فوقفت على باب سرداب له وإذا هما قـد هبطـا فيـه وأنزلا معهما جميع ما يحتاجان إليه فأكلا وشربا وتنعما فلما أحستهما دليت رأسـي، ثـم ناديـت: مسلم! ويلك، فلم يجبني حتى ناديت ثلاثا فكان في إجابته لي أن غرد بصوت يقول فيه:

بت في درعها وبات رفيقي   جنب القلب طاهر الأطراف

ثم قال: دعبل ويلك مَنْ يقول هذا؟ قلت:

منْ له في حرِ أمه ألف قرن   قد أنافتْ على عُلُوٍّ مناف[3]

قال: فضحك ثم سكتا واستجلبت كلامهما فلم يجيباني وأخذا في لذتهما وبت بليلـة يقـصر عمر الدهر عن ساعة منها طولا وغما حتى إذا أصبحت ولم أكد خرج إليّ مسلم فجعلت أؤنبـه، فقال لي: يا صفيق الوجه منزلي ومنديلي وطعامي وإشرابي فما شأنك في الوسط؟ قلت لـه: حـق القيادة والفضول والله لا غير فولي وجهه إليها، وقال: بحياتي إلا أعطيته حـق قيادتـه وفـضوله. قالت: أما حق قيادته فعرك أذنه، وأما حق فضوله فصفع قفاه. فاستقبلني مسلم فعرك أذني وصفع قفاي، فقلت: ما هذا؟ فقال: جرى الحكم عليك بما جرى لك من جرى لك من العذل والإستحقاق[4].

---

[1]- املاق : الفقر.

[2]- صريح الغواني: هو الشاعر العباس المعروف مسلم بن الوليد.

[3]- الحِر : الفرج ، وأناقت : أشرفت وطالت وارتفعت.

[4]- العقد الفريد لابن عبد ربه.

ديناران

*كانت زاد مهر جارية بارعة الجمال طيبة الغناء· ورآها يوما فتى من بغـداد فعـشقها وأخذ في استعطافها بالمراسلات والمكاتبات، وهى لا تعرف إلا الدينار· وجعل يصف لهـا فـي رقاعة عشقه وسهره في الليالى وتقلبه علي حر المقالى وامتناعه من الطعام والشراب وما يـشاكل هذا من الهذيان الفارغ الذي لا طائل فيه ولا نفع·

فلما أعياه أمرها ويئس من تعطفها عليه كتب إليها في رقعة: وإذ قد منعتي زيارتك فمري باالله خيالك أن يطرقني ويبرد حرارة قلبي·

فقالت زاد مهر لرسولته:

ويحك، قولي لهذا الرقيع: أنا أعمل ما هو خير لك من أن يطرقك خيـالى، أرسـل إلـيَّ دينارين في قرطاس حتى أجيئك أنا بنفسي[1].

قالون!

*ذكر الخرائطي أن "عبد االله بن عمر" ، رضى االله عنهما اشترى جارية روميـة فكـان يحبها حبا شديدا فوقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويقبلها وكانت تكثـر من أن تقول: " يابطرون أنت قالون"!

تعنى: يامولاي أنت جيد، ثم إنها هربت منه فوجد عليها وجدا شديدا وقال:

قد كنت أحسبني قالون فانصرفت   فاليوم أعلم أنى غير قالون!

ماذا يريد منـي؟

*وقيل: إن رجلا تبع جارية لقوم فراوغته فلم ينقطع عنها فحثت في المشي فلـم ينقطـع عنها، فلما جاوزت بمجلس قوم، قالت: يا هؤلاء لي طريق ولهذا طريق ولي مولي فـسلوا هـذا ماذا يريد مني[2].

[1] – ألف حكاية وحكاية ص ٣٤٣ ·

[2] – الحيوان للجاحظ ج٢ ص٤٤٥ ·

ما ضرَّك الشيب

*لمّا قدم المعتضد[1] من الشام دخلت عليه بدعة (إحدى الجواري) في أول يوم جلس فيه، فقال لها: يا بدعة، أما ترين الشيب كيف قد اشتعل في لحيتي ورأسي؟ فقالت له: يا سيدي، عمرك الله أبدا حتى ترى ولد ولدك قد شابوا، فأنت في الشيب أحسن من القمر:

وفكرت طويلا حتى قالت:

ما ضرك الشيب شيئا　　　بل زدت فيه جمالا

قد هذَّبتك الليالي　　　وزدت فيها كمالا

فعش لنا فى سرورٍ　　　وانعم بعيشك بالا

فى نعمة وسرورٍ　　　ودولةٍ تتعالى

عجوزٌ معتلة

*وقيل أراد شيخ ابتياع جارية شابة فكرهته فقال لها: لا يريبك هذا الشيب، فأنا ما زلت شابا، فقالت لها: أيسرّك أن تكون عندك عجوز معتلة[1].

قرة العين

*قال رجل لجارية أراد شراءها: لا يريبك هذا الشيب الذي ترينه فإن عندي قرة عين، فقالت الجارية: أيسرك أن عندك عجوزا مغتلمة[2].

أبكرٌ أم ايش؟

*عُرض علي المتوكل جارية فقال لها: أبكرٌ أنت أم إيش؟ فقالت: أم إيش يا أمير المؤمنين، فضحك وابتاعها[3].

---

(1) المعتضد : أحد الخلفاء العباسيين.

(٢) نساء الخلفاء لأبن السباعى ص٦٤.

[1] – معتلة : مريضة .

[2]– الغلمة: الشهوة. الأذكياء ص ٢٥٣ .

[3]– المرجع السابق ص ٢٥٥ .

يوم

*وعُرض علي رجل جاريتان بِكر وثيب، فمال إلى البِكر، فقالت الثيب: لِم رغبت فيها وما بيني وبينها إلا يوم؟

فقالت البكر: "ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون"[1]، فأعجبناه فاشتراهما [2].

كثرت الفتوح في زمان الواثق

*قال علي بن الجهم: اشتريت جارية، فقلت لها: ما أحسبك إلا بكرا،

فقالت: كثرت الفتوح في زمان الواثق.

وقلت لها ليلة: كم بيننا وبين الصباح؟

قالت: عناق مشتاق.

ونظرت إلى الشمس كاسفة.

فقالت: احتشمتْ محاسني فانتقبت.

وقلت لها ليلة: نجعل مجلسنا الليلة في القمر.

فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر[3].

نعوذ بالله من الكساد

*قال الجاحظ: قلت لجارية ببغداد: أبكرٌ أنت؟

فقالت: نعوذ بالله من الكساد[4].

---

[1]- سورة الحج، الآية ٤٧.

[2]- تحفة العروس ص ١٢٤ .

[3] - المرجع السابق ص ١٢٤ .

[4] - المرجع السابق ص ١٥٢ .

امرأة من آل لهب

*ذكر ابن عبد ربه في "العقد الفريد" أن إسحاق بن إبراهيم قال:

قال لي ابن وهب الشاعر: والله لأحدّثنك حديثا ما سمعه مني أحد قط، وهو بأمانة أن يسمعه أحد منك ما دمت حيا.

قلت: "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها"!

قال: يا أبا محمد إنه حديث ما طن في إذنك أعجب منه!

قلت: كم هذا التعقيد بالأمانه؟ أخذه على ما أجبت!

قال: بينا أنا بسوق الكيل بمكة بعد أيام الموسم إذ أنا بامرأة من نساء مكة معها صبي يبكي وهي تسكت فسفرت فأخرجت من فيها كسرة درهم فدفعتها إلى الصبي فسكت فإذا وجه رقيق كأنه كوكب درى، وإذا شكل رطب ، ولسان فصيح ، فلما رآتنى أحدّ النظر إليها قالت: اتبعني. فقلت: إن شريطتي الحلال! قالت: ومن يريدك على حرام؟

فخجلت وغلبتني نفسي على رأيي فتبعتها، فدخلت رقاق العطارين، فصعدت درجة، وقالت: اصعد! فصعدت، فقالت: أنا مشغولة وزوجي رجل من بني مخزوم، وأنا امرأة من زهرة ولكن عندي وجه أحسن من العافية[1] في مثل خلق ابن سريج وترنم معبد[2] وتيه ابن عائشة[3] أجمع لك هذا كله في بدن واحد بأشقر سليم. قلت: وما أشقر سليم؟

قالت: بدينار واحد يومك وليلتك، فإذا قمت جعلت الدينار وظيفة وتزويجا صحيحا .

قلت: فذلك لك أن اجتمع لي ما ذكرت.

قال: فصفقت بيدها إلى جاريتها، فاستجابت لها، قالت: قولي لفلانة: ألبسي عليك ثيابك وعجلي ، وبالله لا تمسي غمرا ولا طيبا ، فحسبك بدلالك وعطرك.

قال: فإذا جارية أقبلت ما أحسب أن الشمس وقعت عليها كأنها دمية، فسلّمت وقعدت كالخجلة.

فقالت لها الأولى: إن هذا الذي ذكرته لك ، وهو في هذه الهيئة التي ترين.

قالت: حياه الله وقرب داره.

---

[1]- تقصد أن عندها امرأة بارعة الحُسن .

[2]- هو معبد بن وهب أديبا فصيحا ، ونابغة الغناء العربي في العصر الأموي .

[3]- هو محمد بن عائشة ، أبو جعفر من المتقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان في العصر الأموي، (انظر: "الأعلام" للزركلي) .

قالت: وقد بذل لك من الصداق دينارا.

فقالت: أي أم، أخبرته بشريطتي؟

قالت: لا والله يا بنية! لقد نسيتها. ثم نظرت إليّ فغمزتني، وقالت: أتدرى ما شـريطتها؟ قلت: لا. قالت: أقول لك بحضورها ما أخالها تكرهه، هي والله أفتك من عمرو بـن معـد يكرب، وأشجع من ربيعة بن مكدم، ولست بواصل إليها حتى تسكر وتغلب علـي عقلهـا، فإذا بلغت تلك الحال ففيها مطمع.

قلت: ما أهون هذا وأسهله!

قالت الجارية: وتركت شيئا آخر.

قالت: نعم والله ، اعلم أنك لن تصل إليها حتى تتجرد لها، وتراك مجردا مقبلا ومـدبرا. قلت: وهذا أيضا أفعله!

قالت: هلم دينارك! فأخرجت دينارا فنبذته إليها، فصفقت صفقة أخرى فأجابتهـا امـرأة، قالت: قولي لأبي الحسن وأبي الحسين هلما الساعة! فقلت في نفسي: أبو الحسن وأبـو الحـسين ، هو علي بن أبي طالب!

قال: فإذا شيخان خاضبان نبيلان قد أقبل، فصعدا، فقصت المرأة عليهما القصة، فخطـب أحدهما وأجاب الآخر، وأقررت بالتزويج وأقرت المرأة ، فدعوا بالبركة ، ثم نهضا فاسـتحييت أن أحمل المرأة شيئا من المؤونة، فأخرجت دينارا آخر فدفعته إليها، وقلت: اجعلـي هـذا لطيبـك. قالت: يا أخي، لست ممن يمس طيبا لرجل، إنما أتطيب لنفسي إذا خلوت. قلت: فـاجعلي هـذا لغدائنا اليوم. قالت: أما هذا فنعم.

فنهضت الجارية، وأمرت بإصلاح ما يحتاج إليه، ثم عـادت وتغـدينا، وجـاءت بـأداة وقضيب، وقعدت تجاهي، ودعت بنبيذ فأعدته واندفعت تغنى بصوت لم اسمع مثله قط، فإني ألفـت القينات نحوا من ثلاثين سنة ما سمعت مثل ترنمها قط؛ فكدت أجن سرورا وطربا، فجعلت أريـغ[1] أن تدنو منى فتأبى، إلى أن غنت بشعر لم أعرفه، وهو:

راحوا يصيدون الظباء، وإنني   لأرى تصيدها عليّ حراما

أعزز عليّ بأن أروّع شبهها   أو أن تذوق علي يدي حماما

[1]- أريغ: أحتال .

فقلت: جعلك فداك من يغنى هذا؟ قالت: اشترك فيه جماعة، هو لمعبد وتغنى به ابن سريج وابن عائشة، فلما نعى إلينا النهار، وجاءت المغرب تغنت بصوت لم أفهمه للشقاء الذي كتب عليّ فقالت:

كأني بالمجرد قد علته بغال القوم أو خشب السواري

قلت جعلت فداك! ما أفهم هذا البيت ولا أحسبه مما يتغنى به.

قالت: أنا أول من تغنى به. قلت: فإنما وهو بيت عابر لا صاحب له؟ قالت: معه آخر ليس هذا وقته. هو آخر ما أتغنى به.

قال: وجعلت لا أنازعها في شيء إجلالا لها، فلما أمسينا وصلينا المغرب وجاءت العشاء الأخيرة، وضعت القضيب فقمت فصليت العشاء، وما أدرى كم صليت، عجلة وشوقا، فلما صليت قلت: تأذنين جعلت فداك! في الدنو منك؟ قالت تجرد، وأشارت إلى ثيابها كأنها تريد أن تتجرد فكدت أن أشق ثيابي عجلة للخروج منها، فتجردت وقمت بين يديها مكفرا لها، قالت: امض إلى زاوية البيت وأقبل وأدبر حتى أراك مقبلا ومدبرا!

قال: وإذا حصير في الغرفة، عليه طريق إلى زاوية البيت فخطرت عليه، وإذا تحته خرق[1] إلى السوق ، فإذا أنا في السوق قائما مجردا، وإذا الشيخان الشاهدان قد أعدا لي نعالهما وكمنا لي في ناحية، فلما هبطت عليهما بادرا إليّ فقطعا نعالهما على قفاي واستعانا بأهل السوق فضربت والله يا أبا محمد حتى نسيت اسمي، فبينا أنا أُضرب بنعال مخصوفة وأيد شديدة إذا صوت يُغنى به من فوق البيت: وهو:

ولو علم المجرد ما أردنا لحاربنا المجرد بالصحارى

فقلت في نفسي: هذا والله وقت هذا البيت! فنجوت إلى رحلي وما في عظم صحيح فسألت عنها، فقيل لي إنها امرأة من آل لهب! فقلت: لعنها الله ولعن الذي هي منه!

---

[1]- خرق: فتحة .

أنت أسد فاطلب لك لبوة

قيل: إنَّ رجلاً من بني سعد مرَّت به جارية لأميَّة بن خالد بن عبد اللَّـه ابـن أسـد ذات ظرْف وجمال، وكان شجاعاً فارساً. فلمَّا رآها قال: طُوبى[١] لمن كان له امرأة مثلـك، ثـم أتبعهـا رسولاً يسألها، ألها زوج، ويذكره لها، وكان جميلاً. فقالت للرسول: وما حرفته؟ فأبلغـه الرسـول ذلك، فقال: ارجع إليها وقل لها:

وسائلةٍ ما حرْفتي قلتُ لها
مُقارعةُ الأبطال في كلِّ شارقِ[٢]
إذا عَرَضَتْ خيلٌ لخيلٍ رأَيْتني
أمامَ رَعيلِ الخيل أحمي حَقائقي
أُصَبِّرُ نَفْسِي حين لم أر صابراً
على ألمِ البِيض الرِّقاقِ الْبَوارقِ[٣]

فلحقها الرسول فأنشدها، فقالت له: ارجع وقل له:

أنت أسَدٌ فاطلب لك لَبُوة فلستُ مِن نسائك، وأنشدته تقول:

ألا إنَّما أَبْغي جَواداً بماله
كريما مْحَيَّاهُ[٤] كثيرَ الصدائقِ
فتىً هَمُّهُ مُكْ كان خَوْدُ خَرِيدةٍ
يُعانِقُها في اللَيل فوق النمارقِ[٥]

---

[١]- طوبى: غبطة وسعادة.

[٢]- كل شارق: كل طالع شمس، أي كل يوم.

[٣]- البيض الرقاق البوارق: السيوف الرقيقة اللامعة.

[٤]- المحيًّا: الوجه. كثير الصدائق: كثير العطاء.

[٥]- الخود: المرأة الشابة. الخريدة: البكْر لم تمس. النمارق: الوسائد الصغيرة يتكأ عليها .

* المستطرف للأ بشيهى ج٢ ص٢٩٨

جارية تراود سيدها عن نفسها

*اشترى أبو الأسود[1] جارية– يُقال لها صَلاح– لِتخدُمَه، فطمعت فيــه وأقبلــت تتطيّــب وتتعرّض لفراشه، فأنشأ يقول:

أصلاحُ إنّي لا أريدكِ للصَّبا *** فذري التشكُّلَ[2] حَوْلَنَا وتَبدّلي

إنّي أُريدكِ لِلْعَجين وللرحَى *** ولحمْلِ قِرْبتِنا وغَلْي المرْجَلِ[3]

وإذا تروَّحَ ضَيْفُ أهلِكِ أو غَدا *** فَخذي التاهُّبَ نحوَ آخَرَ مُقْبلِ

ولد الأحنف والجارية

* وقيل: قال ولد الأحنف لجارية أبيه: يا زانية، فقالت: لو كنت زانية لما أتيت بمثلك.

القلب يطمع والأسباب عاجزة

*ودعا عيسى بن موسى بجارية له فلم يقدر علي غشيانها، فقال:

القلب يطمع والأسباب عاجزة والنفس تهلك بين العجز والطمع[4]

هتك الستر

*قيل: كان بالمدينة فتًى من بني أميّة من ولد عثمان، وكان ظريفاً، وكان يختلف إلى قَيْنة[5] لبعض قريش. وكانت الجارية تحبّه ولا تعلم، ولم تكن محبّة القوم إذ ذاك لريبة ولا لفاحشة، فأراد أن يبلو[6] ذلك، فقال لبعض من عنده: امضِ بنا إليها، فانطلقا ووافاهما وجوه أهل المدينة من قريش والأنصار وغيرهم، وما كان فيهم فتى يَجِدُ بها وَجْدَهُ ولا تَجِد بواحد منهم وَجْدها[7] بالأمويّ. فلمَّــا أن أخذ الناسُ مواضعهم قال الفتى:

---

[1]- أبو الأسود: هو ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني، واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء. وُلد في سنة ٦٠٥م وتُوفي في سنة ٦٨٨م. (انظر: "الأعلام" للزركلي ج٣ ص٢٣٦)

[2]- التشكّل: التزيّن.

[3]- الرحى: الأداة التي يطحن بها. المرجل: القدر.

[4]- المستطرف ج ٢ ص ٣٠٤ .

[5]- يختلف إلى قينة: يتردد إلى جارية مغنية.

[6]- يبلو: يختبر.

[7]- الوجد: الشوق الشديد.

أتُحسنين أن تقولي:

أُحبّكمُ حُبّاً بكلّ جَوارحي *** فهل عندكم عِلمٌ بما لكُمُ عندي؟
أتجزونَ بالودّ المضاعفِ مثلِه *** فإنَّ الكريمَ مَن جَزى الودّ بالودِّ

قالت: نعم وأحسن منه، فقالت:

للذي ودَّنا المودَّةَ بالضّعفِ *** وفضلُ البادي به لا يُجازَى
لو بَدا ما بنا لكم ملأ الأرضَ *** وأقطار شامِها والحجاز!

فعجب الفتى من ذهنها مع حُسن جوابها وجودة حفظها، فازداد كَلفاً بها[1] ، فقال:

أنتِ عُذرُ الفتى إذ هَتَكَ السّتْـ
رَ وإن كان يوسف المعصوما[2]

لولا المحبة ما غررت بنفسي!

*قال "حمَّاد" كنت عند جعفر بن سليمان[3] بالبصرة، إذ أُتي بشابّ حسن الوجه ومعه جارية كأنها قضيب بانٍ[4]، فقال صاحب الشرطة: أصلح اللَّه الأمير! إنّي وجدتُ هذا وهذه مجتمعين في خَلْوة، وليست له بمَحْرَم.

قال جعفر للفتى: ما تقول؟

قال: صدق واللَّه، لقد طال غرامي بهذه الجارية منذ سنين، وواللهِ، ما أمكنني بها خَلْوة إلاَّ في هذا الوقت، وأنشد:

تمنّيتُ مِن ربّي أفوزَ بقربها
فلمَّا تهيّأ المُنَى غالهُ[5] العُسْرُ
وواللَّهِ ثمَّ اللَّهِ ما كان ريبةَ
وما كان إلا اللفظ والضحكُ والبِشْرُ
فدونكُمو جِلْدي ولا تجلدونها
فكم مِن حرامٍ كان مِن دونهِ سِتْرُ

---

[1]- كلفاً بها: حباً بها

[2]- مروج الذهب للمسعودي ج٤ ص٢٢-٢٣.

[3]- جعفر بن سليمان: هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، كان أبوه والى البصرة وعُمان والبحرين لأبى جعفر المنصور.

[4]- البان: واحدته البانة، وهى نوع من الشجر معتدل القوام.

[5]- غاله: أصابه.

قال حمّاد: فجعلت الجارية تبكي بكاء شديداً، فقال لها جعفر: وأنت مِمَّ تبكين؟

قالت: واللّه، لما حلَّ بنا من هذه المِحْنة والبليّة، وكيف خرجتُ لأنظره حتى وقعنا في الرزيّة[1].

فقال لها: أتحبيّنه؟

قالت: ولولا المحبّة ما غرّرتُ[2] بنفسي.

فقال لها جعفر: أأنت حرَّة أم مملوكة؟

قالت: مملوكة لفلان.

فأمر بدخولها إلى الدار، وأرسل إلى مولاها، فحضر، فاشتراها منه بمائتي دينار، ثمَّ أعتقها، وزوّجها للفتى، ووهب له مائة دينار، وكساهما وصرفهما عنه، فأنشدت تقول:

لقد جُدْتَ يا بنَ الأكرمينَ بنعمةٍ
جمعت بها بين المحبّين في سترْ
فلا زلتَ للإحسان كَهْفاً ودارئاً[3]
وقد جلَّ ما قد كان منك عن الشكر

قال: فضحك، وأمر لها بجائزة على هذين البيتين[4].

ذبحت طمعي

*كان لسليمان بن عبد الملك[5] مؤذّنٌ يؤذّن في قصره بأوقات الصلاة، فجاءته جارية له مولّدة فقالت: يا أمير المؤمنين، إن فلاناً المؤذّن إذا مررتُ به لم يقلع ببصره عنّي نظرك إليَّ، وبقلبي منك أكثر ممّا بقلبك منّي، فإن تكن لك حاجةٌ فقد أمكّنكَ منّي ما تريد، وهذا أمير المؤمنين غافل، فإن لم تبادر وإلاَّ لم أرجع إليك أبداً. فمضت إلى المؤذّن وقالت له ما قال لها. فرفع طَرْفَهُ إلى السماء وقال: يا جليل أين سِتْرُكَ الجميل، ثمَّ قال: اذهبي ولا ترجعي، فعسى أن يكون المُلتقى بين يدي من لا يُخَيِّبُ الظنّ. فرجعت إلى سليمان وأخبرته الخبر فأرسل إليه. فلمّا دخل على سليمان قال له الحاجب: إنّ أمير المؤمنين رأى أن يَهَبَ لك فلانة ويحمل إليك معها خمسين ألف

---

[1]- الرزيّة: المصيبة.

[2]- غرّرت: عرّضت نفس للهلاك.

[3]- دارئاً: حامياً.

[4]- المختار للمقرّى ص١٨٥-١٨٦.

[5]- سليمان بن عبد الملك: أحد الخلفاء الأمويين.

درهم تنفقها عليها، قال: هيهاتَ يا أمير المؤمنين إنِّي واللَّه ذبحتُ طمعي منهــا مــن أوَّل لحظــةٍ رأيتها، وجعلتها ذخيرةً لي عند اللَّه، وأنا استحيي أن استرجعَ شيئاً ادَّخرتُهُ عنده.

فجَهَد به سليمان أن يأخذ المال والجارية فلم يفعل، فكان يُعجب منــه، ولا يــزال يحــدِّث أصحابه بحديثه[1].

الزوج والفأرة

*قيل: كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الأدب، وكان يحبهــا حبــا شــديدا فأصابته إضاقة وإفاقة، فاحتاج إلى ثمنها فحملها إلى العراق، وكان ذلك في زمــن الحجــاج بــن يوسف فابتاعها منه الحجاج، فوقعت منه بمنزلة، فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه، فأنزله قريبــا منه وأحسن إليه، فدخل علي الحجاج والجارية تلبسه، وكان الفتى جميلا، فجعلت الجارية تــسارقه النظر، ففطن الحجاج بها، فوهبها له فأخذها وانصرف، فباتت معه ليلتها وهربت بغلس[2]، فأصــبح ولا يدرى أين هي.

وبلغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادى: برئت الذمة ممنْ رأى وصيفة من صــفتها كــذا وكذا ولم يحضرها، فلم يلبث أن أُتي له بها، فقال لها: يا عدوة الله! كنت عندي من أحــب النــاس إليَّ فاخترت ابن عمى شابا حسن الوجه، ورأيتك تسارقينه النظر، فعلمت أنك شغفت به فوهبتــك له، فهربت من ليلتك. فقالت: يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت. قال: هاتي ولا تخفــي شيئا. قالت: كنت للفتى القرشي فاحتاج إلى ثمني فحملني إلى الكوفة، فلما قربنا منها دنــا منــى، فسمع زئير الأسد فوثب واخترط سيفه، وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه، ثم أقبل علــيَّ، وإنَّ ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام إليَّ، فوقعت فأرة من السقف فغُشي عليه، فمكــث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق، فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فزعا منك.

فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك، وقال: ويحك! اكتمي هذا ولا تعلمي بــه أحــدا. قالت: علي ألاّ تردني إليه، قال: لك ذلك.

---

[1]- المستجاد للتنوخى ص٢٢٩.

[2]- الغلس: الظلام .

الجارية أفقه مني

* وقال بن قتيبة جاءتني جارية بهدية، فقلت لها: قد علم مولاك أني لا أقبل الهدية، قالت: ولِمَ؟ قلت: أخشى أن يستمد مني علما لأجل هديته. فقالت: ما استمد الناس من رسول الله أكثر، وقد كان يقبل الهدية، فقبلتها، فكانت الجارية أفقه مني[1].

---

[1]- الأذكياء ص ٢٢٨ .

الغولة

*عن أبى القاسم عبد الله بن محمد الكاتب قال: حدَّثني بعض الأشراف بالكوفة أنه كان بها رجل .. . يُعرف بالأدرع، شديد القلب جدا. قال، وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين فيه نار يطول تارة ويقصر أخرى، ويقولون هو غُولة يفزع منه الناس، وخرج الأدرع ليلة في بعض شأنه. قال لي الأدرع، فاعترض لي السواد والنار، فطال الشخص في وجهه، فأنكرته ثم رجعت إلى نفسى، فقلت أمَّا شيطان وغولة فهوس، وليس إلا إنسانا، فذكرت الله تعالى وصليت على نبيه، وجمعت عنان الفرس وقرعت بالمقرعة وطرحت على الشخص، فازداد طولع وعظم الضوء فيه، فنفر الفرس، فقرعت فطرح نفسه على، فكثر الشخص حتى عاد على قدر قامة، فلما كاد الفرس يخالطه ولَّى هاربا، فحركت خلفه، فانتهي إلى خربة، فدخلها، فدخلت خلفه، فإذا هو نزل سردابا فيهم، فنزلت عن فرسي وشددته، ونزلت وسيفي مجرد، فحين حصلت في السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار منى، فطرحت نفسي عليه، فوقعت يدي على بدن انسان، فقبضت عليه فأخرجته، فإذا هي جارية سوداء، فقلت: أي شيء أنتِ وإلا قتلتك الساعة ؟

قالت: قبل كل شيء أنتَ إنسي أم جنى، فما رأيت أقوى قلبا منك قط؟

فقلت: أي شيء أنتَ؟

قالت: أمة لآل فلان، قوم بالكوفة أبقت منهم سنين، فتغربت في هذه الخربة، فولد لي الفكر أن أحتال بهذه الحيلة وأوهم الناس أنى غولة حتى لا يقرب الموضع أحد، وأتعرض ليلا للأحداث، وربما رمى أحدهم منديلا أو إزارا، فآخذه فأبيعه نهارا وأقتات به أياما.

قلت: فما هذا الشخص الذي يطول ويقصر التي تظهر؟

قالت: كساء معي طويل أسود، فأخرجته من السرداب وقضبان مهندية أدخل بعضها في بعض الكساء، وأرفعه فيطول، فإذا أردت تقصيره رفعت من الأنابيب واحدة فيقصر، والنار فتيلة شمع معي في يدي لا أخرج إلا رأسها مقدارا ما يضئ الكساء.

وأرتني الشمعة والكساء والأنابيب، ثم قالت: قد جازت هذه الحيلة نيفا وعشرين سنة، واعترضت فرسان الكوفة وشجعانها، وكل أحد، فما أقدم أحد عليَّ غيرك، ولا رأيت أشد قلبا منك، فحملها الأدرع إلى الكوفة فردها إلى مواليها، فكانت تحدّث بهذا الحديث ولم يُرَ بعد ذلك أثر غولة، فعلم أن الحديث حق[1].

---

[1] - نشوار المحاضرة للتنوخي.

أبلغ الإحسان

*وُصف لعبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي) جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال، فساومه في ابتياعها، فامتنع وامتنعت؛ وقالت: لا أحتاج للخلافة ولا أرغب في الخليفة، والذي أنا في ملكه أحبُّ إليَّ من الأرض ومن فيها.

فبلغ ذلك عبد الملك فأغراه بها، فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسرا، فما أعجب بشئ إعجابه بها، فلما وصلت إليه وصارت بين يديه أمرها بلزوم مجلسه، والقيام على رأسه، فبينما هي عنده، ومعه أبناه: الوليد، وسليمان، قد أخلاهما للمذاكرة، فأقبل عليهما فقال: أي بيت قالته العرب أمدح؟

فقال الوليد: قول جرير[1] فيك:

ألستم خير من ركب المطايا[2] وأندى العالمين بطون راح[3]

وقال سليمان: بل قول الأخطل[4] :

شمس[5] العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقالت الجارية: بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت[6] :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل[7]

فأطرق ثم قال: أي بيت قالته العرب أرق ؟

فقال الوليد: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور[8] قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

---

[1] جرير : هو جرير بن عطية التميمى، أشعر أهل عصره، وهو من أغزل الناس شعراً. ولد سنة ٢٨هـ وتوفى سنة ١١٠هـ. (أنظر الأعلام للزركلى ج٢ ص١١١).

[2] المطايا : جمع مطية، وهى الناقة التى تركب.

[3] أى أكثر الناس عطاءاً.

[4] الأخطل : هو غياث بن غوث التغلبى، شاعر أموى مشهور، ولد سنة ١٩هـ وتوفى سنة ٩٠هـ. (أنظر الأعلام للزركلى ج٥ ص١٢٣).

[5] شمس العداوة : الشمس : جمع شموس، وهو الصعب العسير.

[6] حسان بن ثابت : هو شاعر النبى صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. توفى فى سنة ٥٤هـ. (أنظر الأعلام للزركلى ج٢ ص١٨٨).

[7] كناية عن كثرة الضيوف القاصدين إلى منازلهم وأن فيهم من السعة حتى أنهم لا يبالون من نزل بهم من الناس ولا يهنهم الجمع الكثير وهو السواد إذا قصدوا إليهم.

[8] الحور : شدة سواد العين وبياضها.

فقال سليمان: بل قول عمر بن أبى ربيعة[٩] :

حبذا رجعها إليها يديها   فى يدى درعها تحل الإزارا[١٠]

فقالت الجارية: بل بيت يقوله حسان :

لو يدب الحولى من ولد الذ   ر عليها لأندبتها الكلوم[١١]

فأطرق ثم قال: أي بيت قالته العرب أشجع؟

فقال الوليد: قول عنترة[١٢] :

إذ يتقون بى الأسنة لم أخم[١٣]   عنها ولو أنى تضايق مقدمى

فقال سليمان: بل قوله:

وأنا المنية فى المواطن كلها   فالموت منى سابق الآجال

فقالت الجارية: بل بيت يقوله كعب بن مالك:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا   قدما ونلحقها إذا لم تلحق

فقال عبد الملك: أحسنت، وما نرى شيئا فى الإحسان إليك أبلغ من ردك إلى أهلك. فأجمل كسوتها، وأحسن صلتها، وردها إلى أهلها.

---

[٩] عمر بن أبي ربيعة : شاعر غزل مشهور فى العصر الأموي.

[١٠] الدرع : قميص المرأة. الإزار : كل ما يستر الإنسان.

[١١] أى لو مشى النمل الصغير على جسدها لظهر أثر ذلك كالجراح لرقة بشرتها.

[١٢] عنترة بن شداد العبسى : أشهر فرسان العرب فى الجاهلية.

[١٣] أخم : أحد ، أزح.

مطلوبي صاحب الدنانير

*وحُكى أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر، فنثر يوما دنانير بين الجواري، فصارت الجواري يلتقطن الدنانير، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد فقال لها: ألا تلتقطين الدنانير؟ فقالت: إنّ مطلوبهن الدنانير، ومطلوبى صاحب الدنانير، فأعجبته، فقربها وأثنى عليها خيرا، فقام حُسن كلامها مقام الجمال[1].

حمشة الساقين

*ولما عُرضت الخيزران على المهدي قال لها: والله يا جارية إنك لعلي غاية التمني، لكنك حمشة الساقين.

فقالت يا أمير المؤمنين! إنك أحوج ما تكون إليَّ لا تراهما.

فقال: اشتروها، فحظيت عنده فأولدها موسى وهارون[2].

إنه في وقت حاجتك لا تراه!

و*قيل: عُرضت علي المأمون جارية بارعة في الجمال فائقة الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها.

فقال: لمولاها خذها بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها.

فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين! إنه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه، فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها[3].

أحسنت في إساءتها

*وعُرضت علي المتوكل جارية شاعرة، فقال لها أبو العيناء[4]، يستجيزها:

أحمد الله كثيرا...

فقالت:

---

[1]- تحفة العروس ص ١٢٣ .

[2]- المرجع السابق ص ١٢٤ .

[3]- المستطرف ج ١ ص ٩٨ .

[4]- أبو العيناء : هو محمد بن القاسم بن جلاد بن ياسر الهاشمي.

حيث أنشأك ضريرا

فقال: يا أمير المؤمنين! قد أحسنت في إساءتها فاشتراها[1].

وعما قليل لا يروح ولا يغدوا

*عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال سليمان بن عبد الملك يوما والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوه:

يروح إذا راحوا ويغدوا إذا غدوا ......

فلم يضعوا شيئا، فدخل إلى جارية له، فأخبرها فقالت: كيف قلت؟ فأنشدها فقالت:

وعما قليل لا يروح ولا يغدو[2]

أخاف أن يملني

*وحكى أبو بكر الصولي: إن المهدي اشترى جارية فاشتد شغفه بها، وكانت به أشغف، وكانت تتجافاه كثيرا فدس إليها من عرف ما في نفسها، فقالت: أخاف أن يملني ويدعني فأموت، فأنا أمنع نفسي بعض لذتها منه لأعيش، فقال المهدي:

ظفرت بالقلب مني غادة مثل الهلال
كلما صح لها ودي جاءت باعتلال
لا تحب الهجر مني والتنائي عن وصولي
بل لمأمنها عليَّ حبي لها خوف الملال[3]

فطنة جارية

*غضب المأمون يوما علي عبد الله بن طاهر فأراد طاهر أن يقصده، فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفي حاشيته (يا موسى)، فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك، فقالت له جارية، وكانت فطنة، أراد:

"وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج

---

[1] – المرجع السابق ج ١ ص ٧٧ .

[2]– الأذكياء ص ٢٤٦ .

[3] – المرجع السابق ص ٢٤٨ .

إني لك من الناصحين"[١].

فتيقظ عن قصد المأمون[٢].

"وما يعلم جنود ربك إلا هو"

*قال رجل لجارية أراد شراءها فسألها عن ثمنها، فقال: يا جارية كم دفعوا فيك؟ فقالت: "وما يعلم جنود ربك إلا هو"[٣].

أبيدِك صنعة؟

*وحدَّث ابنُ محمد بن داسته أن رجلا اعترض جارية في الطريق، فقال لها: أبيدك صنعة؟ قالت: لا ، لكن برجلي؛ تعنى أنها راقصة[٤].

حبك لا يجاوز المعدة

*ذُكر أن أبا القماقم بن بحْر السّقاء، عشق جارية مدينية، فبعث إليها أنَّ إخوانا لي زاروني فابعثي إليَّ برؤوس حتى نأكلها، ونصطبح[٥]علي ذكرك، ففعلت فلما كان اليوم الثاني بعث إليها أن القوم مقيمون لم نفترق فابعثي إلى بقليّة جزور ريّة[٦]وبقريّة قديّة[٧]حتى نتغذّاها ونصطبح علي ذكرك، فلما كان اليوم الثالث بعث إليها إنا لم نفترق فابعثي إليّ بسنبوسك[٨]حتى نصطبح اليوم علي ذكرك، فقالت لرسوله: إني رأيت الحبّ يحل في القلب ويفيض إلى الكبد والأحشاء، وإنَّ حبّ صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة[٩].

---

[١] – سورة القصص ، الآية (٢٠).
[٢] – المرجع السابق ص ٢٥٥ .
[٣] – سورة المدثر، الآية (٣١).
[٤] – المرجع السابق ٢٥١ .
[٥] – نصطبح : نشرب الخمر صباحا .
[٦] – قلية جزور رية : أي بلحم جزور مقلي طرى.
[٧] – بقرية قدية : أي لحم طيب المذاق والرائحة .
[٨] – السنبوسك : عجين يحشى باللحم وغيره يقلى .
[٩] – الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٢ .

النصف الآخر

*أعطت امرأة جاريتها درهما وقالت لها: اشترى هريسة، فرجعتْ، فقالت: يا سيدتي سقط الدرهم منى فضاع، فقالت: يا فاعلة تكلميننى بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم، فأمسكت الجارية نصف فمها بيدها، وقالت: بالنصف الآخر: وانكسرت يا سيدتي الزبدية[1]٠

نأكل رأس أمك ورأس أمي

اشترى رجل رأسين، فوضعهما بين يدي امرأته وقال: أقعدي نأكل.

فأخذت رأسا فوضعته خلفها، وقالت: هذا لأمي.

فأخذ الرجل الرأس الآخر ووضعه خلفه، وقال: هذا لأبي، فماذا نفعل؟ قال: ضعي رأس أمك وأضع رأس أبي فنأكلهما!

انقطع عنك الوحي

*قيل: اجتمع قومٌ عند بصبص جارية ابن نفيس[2] فتذكروا مُزبدا المديني صاحب النوادر وبخله، فقالت بصبص: أنا أخذ لكم منه درهما، فقال لها مولاها: أنت حرة لئن فعلت إنْ لم أشتر لك مخنقة[3]بمائة ألف دينار، وإن لم أشتر لك ثوب وشي بما شئت، واجعل لك مجلسا بالعقيق[4] أنحر لك فيه بدنة لم تقتب[5] ولم تُركب.

فقالت: جيء به وأرفع عنى الغيرة، فقال: أنت حرة أنْ لو رفع برجليك لأعنته علي ذلك، فقال عبد الله بن مصعب[6]، فصليت الغداة في مسجد المدينة فإذا أنا به، فقلت: أبا إسحاق أما تحب أن ترى بصبص جارية ابن النفيس؟ فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطا عليَّ فيها، وإن لم أكن أساله أن يرينها منذ سنة فما يفعل، فقلت له: اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا، قال:

---

[1]- الأذكياء ص ٢٥٦ .

[2]- بصبص: جارية من مولدات المدينة حلوة الوجه حسناء الغناء، قيل : إن المهدي اشتراها فولدت منه عُلية بنت المهدي التي نبغت في الشعر والغناء على السواء، وابن النفيس هو يحي بن النفيس مولاها ٠

[3]- المخنقة : القلادة في العنق .

[4]- العقيق : واد بناحية المدينة .

[5]- البدنة : واحدة الإبل والبقر ، ولم تقتب: أي لم يُشد عليها القتب فهي صغيرة.

[6]- عبد الله بن مصعب: هو أحد الجماعة الذين ذكروا الحادثة .

امرأته طالق إن برحت من هنا حتى تجيء صلاة العصر، قال: فتصرفت في حوائجي حتى كانت العصر ودخلت المسجد فوجدته فيه، فأخذت بيده وأتيتهم بـه فـأكلوا وشـربوا، وتـساكر القـوم وتناوموا، فأقبلت بصبص علي مزبد، فقالت: أبا إسحاق كأن في نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة:

لقد حثّوا الجمال ليهر بوا منا فلم يئلوا[1]

فقال: زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ؟ قال: فغنتـه سـاعة، ثـم مكثت ساعة، فقالت: أبا إسحاق، كأن في نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس إلـى جـانبي فأغنيك، قالت:

قالت وقد أبثثتها فبحتُ به قد كنت قدماْ تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها: غطى هواك وما ألقى علي بصري

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام، وما تكسب الأنفس غدا، وبـأي أرض تموت، فغنته، ثم قالت: برح الخفاء[2] أنا أعلم أنك تشتهى أن تقبلني وأغنيك هزجا:

أنا أبصرت بالليل غلاما حسن الدّل

كغصن البان قد أصبح مسقيا من الطلّ

فقال: أنت نبية مرسلة! فغنته، ثم قالت: أبا إسحاق، أرأيت أسقط مـن هـؤلاء! يـدعونني ويخرجونني إليك ولا يشترون ريحانا بدرهم، أي أبا إسحاق، هلم درهما نشترى به ريحانا، فوثـب وصاح، واحرباه[3] انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي إليك، وعطعط[4] القوم بها وعلمـوا أن حيلتها لم تنفذ عليه، ثم خرجوا فلم يعد إليها وعاود القوم مجلسهم، فكان أكثر حديثهم فيـه حـديث مزبد معها والضحك منه[5].

مات دينارك في النفاس!

*قال أشعب:

جاءتني جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك، فجعلته بين ثنى[6] الفراش. فجـاءت بعـد أيام، وقالت:

---

[1]- وأل يئل : نجا .

[2]- برح الخفاء : زال السر.

[3]- واحرباه : كلمة للندبة وهى تفيد الحزن .

[4]- عطعط : صاح .

[5]- الأغاني ج ١٥ ص ٣٠ – ٣٢ .

[6]- في ثنى الفراش : في طياته .

بأبي أنت! الدينار.

فقلت: ارفعي فراشي وخذي ولده فإنه قد ولد.

وكنت قد تركت إلى جنبه درهما. فأخذت الدرهم وتركت الدينار. وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر فأخذته، وفي الثالثة كذلك. وجاءت في الرابعة، فلما رأيتها بكيت، فقالت: ما يبكيك؟ قلت: مات دينارك في النفاس[1].

فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس.

قلت: يا فاسقة! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس[2]؟

الخاتم

*كان أشعب يختلف إلى قينة[3] بالمدينة، فجلس عندها يوما يطارحها الغناء، فلما أراد الخروج قال لها: نوليني خاتمك أذكرك به. قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود، وناولته عودا من الأرض!

اشربيه أنتِ للطمع

*وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة يكلف بها وينقطع إذا نظرها، فطلبت منه أن يسلفها دراهم، فانقطع عنها وتجنب دارها، فعملت له دواء ولقيته به، فقال لها: ما هذا؟ قالت: دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذي بك، قال: اشربيه أنت للطمع، فإن انقطع طمعك انقطع فزعي. وأنشأ يقول:

أنا والله أهواك	ولكن ليس لي نفقة
فإما كنت تهويني	فقد حلت لي الصدقة

وكان أشعب يختلف إلى جارية في المدينة ويظهر لها التعاشق، إلى أن سألته سلفة نصف درهم، فانقطع عنها وكان إذا لقيها في طريق سلك طريقا أخرى، فصنعت له نشوقا[4]، وأقبلت به

---

[1]- النفاس : دم يعقب الولادة .

[2]- نهاية الإرب للنويري عن كتاب ألف حكاية وحكاية ص ١٩ .

[3]- قينة: جارية مغنية.

[4] – النشوق : كل دواء ينشق.

إليه، فقال لها: ما هذا؟ قالت: نشوق عملته لك لهذا الفزع الذي بك، فقال: اشربيه أنت للطمع الذي بك فلو انقطع طمعك انقطع فزعي! وأنشأ يقول:

اخلفي ما شئت وعدى وامنحيني كل صد
قد سلا بعدك قلبي فاعشقي ما شئت من بعدي
إنني آليت لا أعشق من يعشق نقدي

جارية قيس

*وروى عن الهيثم بن عُدَّى أنه قال: تمارى ثلاثة نفر في الأجواد، فقال رجل: أسخي الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر. فقال الآخر: أسخى الناس قيس بن سعيد بن عبادة. فقال الآخر: بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسي. فتنازعوا بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: لقد أفرطتم في الكلام، فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر بما يعود به فنحكم على العيان.

فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له، فقال الرجل: يا بن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به، فقال: فأخرج رجله، وقال: ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة، وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار.

ومضى صاحب قيس فوجده نائما، فقالت له جارية لقيس: ما حاجتك؟ فقال: ابن سبيل ومنقطع به. فقالت له الجارية: حاجتك أهون من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها، وامض إلى معاطن الإبل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامضى لشأنك.

قيل أن قيسا لمَّا انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها، ولو لم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت أن تفعله، فخُلُق خدم الرجل مقتبس من خُلُقه.

قال بعض الشعراء:

وإذا ما اختبرت ود صديق فاختبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة، فقال: يا عرابة، ابن سبيل ومنقطع به، وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى، وقال: أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء، ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين، فقال الرجل:

والله ما كنت بالذي يسلبك عبديك، فقال: إن أخذتهما أولا فهما حران لوجه الله تعالى، فإن شئت فخذ وإن شئت فاعتق، فأخذ الرجل العبدين ومضى.

ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهده[1].

الجارية والقلنسوة

*قيل: خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم يُر مثلها في الحُسْن، فصاحوا به: خل عنها، وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الإقدام عليه، فعاد ليرمي فانقطع الوتر، فهجموا عليه وأخذوا الجارية. فهرب، واشتغلوا عنه بالجارية ومدَّ بعضهم يده إلى أذنها وفيها قرط[(1)]، وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة، فقالت: وما قدر هذه الدرة إنكم لو رأيتم ما في قلنسوته[(2)] من الدر لاستحقرتم[(3)] هذه. فتركوها واتبعوه، وقالوا له: ألقِ ما في قلنسوتك، وكان فيها وتر[(4)] قد أعده فنسيه من الدهش[(5)]. فلما ذكره ركبه في القوس ورجع إلى القوم فولى القوم هاربين وخلوا الجارية[(6)].

الرأى والرأى الآخر

*وقال الأصمعي: حدَّثني عبد الرحمن المدائني قال: قلت لأبي جفنة الهذلي: وطالت صحبته لامرأته، وكانت تدعى أم عقار: ما تقول في أم عقار؟ فقال: إن كنت متزوجاً فإياك وكل مجفرة منكرة، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وظهرها حديد، سعفاء فوهاء، قليلة الإرعواء، دائمة الدعاء، طويلة العرقوب، عالية الظنوب[(1)]، مقم سلفع، لا تروى ولا تشبع، حديدة الركبة، سريعة الوثبة، قصيرة النقبة[(2)]، شرها يفيض وخيرها بغيض، لا ذات رحم قريبة ولا غريبة نجيبة، إمساكها مصيبة، وطلاقها حريبة، بادية القتير عالية الهرير، شثنة الكف، غليظة الخف وحش غير

---

[1]- المستطرف ج ١ ص ٢٧٢.

(1) القرط : ما يعلق في شحمة الأذن من درة ونحوها.

(2) قلنسوة : نوع من ملابس الرأس.

(3) استحقرتم : استصغرتم.

(4) الوتر : القوس ومعلقها، وهي آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام.

(5) الدهش : الاندهاش والارتباك.

(6) ثمرات الأوراق لابن حجة ص١٢٧.

(1) الظنبوب : حرف الساق وقيل ظاهر الساق.

(2) قصيرة النقبة : النقب : القطع المتفرقة من الجرب، والواحدة نقبة.

ذلك، سكن تعين على بعلها الزمن، وتدفن الحسن، لا تعذر بقلة ولا تجاز عن زلـــة، تأكـــل لمـــا وتوسع ذماً، إذا ذهب هم أحدثت هماً، ذات ألوان وأطوار تؤذى الجار، وتفشى الأسرار.

قال: فقلت لأم عقار: أما تسمعين ما يقول أبو جفنة ؟

قالت : (..........)[٣] فبئس والله ما علمت زوج المرأة المسلمة، قضمة[٤] حطمة، أحمـــر المأكمة، محرم اللهزمة[٥] له جلدة هرمة، وأذن هدباء، ورقبة هلباء، وشعرة صهباء، لئيم الأخـــلاق ظاهر النفاق، أخو ظن وصاحب هم وحزن وحقد وأحن، رهين الكأس، دائم الإفلاس من كل خير، يرتجي عند الناس، خيره محبوس وشره ملبوس، أشأم من البسوس، يسأل إلحافاً وينفق إســـرافاً، لا ألوف يفيد، ولا متلاف قصود (أي لا مقصود)، شر أشنع، وبطن أجمـــع، ورأس أصـــلع، مجمـــع مضفدع فى صورة كلب، ويدل إنسان هو الشيطان، بل أم الصبيان.

قال: فحكينا قولها لأبى جفنة، فقال: فما فمها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالـــد، ولا شعرها بوارد، ولا أنا إن ماتت بواجد، وذلك أن الشر فيها ليس بواحد.

فحكينا قوله لها، فقالت: هو الله ما علمته، قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر[٦]، عظـــيم الكبر كثير الفخر(*).

اذهبي فأنت حرة

*وجاءت جارية لمنصور بن مهران بمرقة فهراقتها عليه، فلمَّا أحس بحرِّها إليها فقالـــت: يا معلم الخير أذكر قول الله قال: وما هو؟ قالت: والكاظمين الغيظ، قال: كظمت. قالـــت: واذكـــر "والعافين عن الناس". قال: قد عفوت. قالت: واذكر "والله يجب المحسنين". قـــال: اذهبـــي وأنـــت حرة.

كيف ترين ما أعظ به؟

*قال محمد بن صبيح لجاريته: كيف ترين ما أعظ الناس به؟

---

(٣) كلمة فيها شتم حذفناها ...

(٤) قضمة حطمة : القضم : الأكل بأطراف الأسنان ....

(٥) اللهزمة : اللهازم : أصول الحنكين واحدهما لهزمة.

(٦) النجر : النجر والنجار والنجار : أي الأصل والحسب.

(*) بلاغات النساء لأبي طيفور ص ١٣٠.

فأجابت الجارية: هو حسن إلا أنك تكرره.

فقال محمد: أكرره ليفهمه مَنْ لا يفهمه.

فقالت الجارية: ولكن إلى أن يفهم البطيء ما تقول يثقل على سمع الذكي[1].

لذات الخلفاء!

*حاول الخليفة المتوكل علي الله شراء جارية لأحد الشعراء بعشرة آلاف درهم، فأبى الشاعر التفريط في الجارية حتى مات فأعاد الخليفة الكرة على الوارثين وظفر بها بنصف الثمن الذي تقدَّم به للشاعر. وقال للجارية: كنا تقدَّمنا لمولاك في حياته بعشرة آلاف درهم فأبى واستعصم ثم ظفرنا بكِ بعد موته بنصف الثمن، فأنقص من قيمتك وحطَّ من شأنك.

فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين! إذا كان الخلفاء يتربصون بلذاتهم وشهواتهم المواريث، فسنُشترى نحن أيضا بأرخص مما اشتريت أنت الآن[2]!

نظرة بتبسم

* ذُكر أنَّ رجلا دعا المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنت جارية من وراء الستار وأنشأت تقول:

وقالوا هذا حبيبك معرضا	فقالت ألا إعراضُه أيسر الخطبِ
فما هي إلا نظرة بتبسم	فتصطك رجلاه ويسقط للجنب[3]

حاجة الديك إلى دجاجة

*استأذن رجل على امرأة، فقالت: ما له من حاجة؟

قالت الجارية: يريد أن يذكر حاجة قالت: لعلها حاجة الديك إلى الدجاجة[1].

[1] - حدائق الأزاهر ص٨٨.

[2] وفيات الأعيان لابن خلكان.

[3] - وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ ص٣١٧.

عفاف ومجون

* كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة، إلا أنها كانت تفحش في مجونها، فقال لها مولاها: اقصري من هذا الفحش بمحضر من الرجال.

فقالت: أفحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسببي، وقال لها بعض الحاضرين وكان شيخا:

يا أحسن الناس وجها مُنى عليَّ بقٌبلة

فأجابت مسرعة:

يا أسمج الناس وجها وأسخن الناس مقلة
إذا سمحت لما رمته فإني بذله
وكيف يوجد بين الجمار والحشف وصلة
فلا تطفْ بالغواني فما يرُدنك خَمْلة
وكل شيخ تصابى على الصبايا فأبْلَهُ

شكت فراقهم عيني

*ولما حُوصر الأمين[2] قال لجاريته: غني، فغنت:

كليب لعمري كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال: غني غير هذا، فغنت:

شكت فراقهم عيني فأرقها إن التفرق للأحباب بُكاء

فقال: لعنك الله! أما تعرفين غير هذا؟ فغنت:

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان من مُلْك قد غاب تحت الثرى إلى مَلك

---

[1]- الحيوان للجاحظ ج٢ ص ٣٦٤.

[2]-الأمين: هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور. خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ، بُويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بعهد منه فولّي أخاه المأمون خراسان. وفي سنة ١٩٥ هـ خلع الأمين أخاه المأمون من ولاية العهد، فنادي المأمون بخلع أخيه الأمين في خراسان وتقاتل الأخوان وانهزم الأمين وقتل بالسيف بمدينة السلام سنة ١٩٨ هـ.

فقال: قومي، فقامت فعثرت بقدح بلور فكثرتها، فإذا قائل يقول: "قُضى الأمر الذي فيه تستفتيان[1]".

ولمَّا دخل المأمون على زبيدة[2] ليعزيعها في الأمين، قالت: أرأيت أن تسليني في غدائك اليوم عندي؟ فتغدي وأخرجت إليه من جواري الأمين من تغنيه فغنت:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسري مرازبة

فوثب مغضبا، فقالت له: يا أمير المؤمنين! حرمني الله أجره إنه كنت علمت أو دسست إليها، فصدَّقها.

الجارية النادبة

*قال المدائني: سمع أسماء بن خارجة[3] نادبة فقال:

فمنْ للمنابر والخافقات والجرد بعد إمام العرب[4]
ومنْ للطعان غداة الهياج ومنْ يمنع البيض عند الهرب[5]
ومنْ للعفاة وفك العناة ومنْ يُفرج الكرب عند الكرب[6]

فقال أسماء: إنها لتندب رجلا شريفا فمنْ هو؟ فقيل له: إنه فلان البقال ابن وردان الحائك، فقال: هذه أعظم من المصيبتين[7].

لا بقاء للإنسان

*لبس سليمان بن عبد الملك أفخر ثيابه وتضمخ بالطِيب، وركب أفره خيله، وتقدَّم إلى المرآة، فأعجبته هيأته وجماله، وكان حسن الوجه.. فقال:

---

[1]- سورة يوسف، الآية (٤١).

[2]- زبيدة: زوجة الخليفة هارون الرشيد وأم الخليفة الأمين.

[3]- هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة.

[4]- الخافقات: أي الأعلام، ويقصد قيادة الجيوش. الجرد: هي الخيل.

[5]- البيض: أي النساء البيض.

[6]- العفاة: طالب الفضل والرزق. ومن للعفاة: يقصد: من يعطي طالبي الفضل والرزق. العناة: الظالم الجبار، ويقصد من يفك ظلم الظالمين.

[7]- أخبار الحمقى والمغفلين ص١٧٨.

"أنا الملك الشاب"، والتفت إلى جارية له وقال: يا جارية، ماذا تـرين فـي هيـأتي وفـي شبابي؟

فقالت الجارية: لك عندي يا أمير جواب إذا أمنتني.

قال سليمان: لقد أمنتك، فما هو جوابي عندك؟

قالت الجارية:

ليس فيما بدا لنا فيك عيبٌ

عابه الناس غير إنك فان

أنت نِعْم المتاع لو كنت تبقي

غير أن لا بقاء للإنسان

ورجع فحُمَّ ... فما بات تلك الليلة إلا ميتا[1]!!

ذلك والله أردت

*قال الحسين بن يحيي: عرض رجلٌ جارية للبيع على قرشي ... فغنت الجارية:

بالله يا ظبي بني الحارث

هل من وفي بالعهد كالناكث

فأُعجب القرشي بها، وأُعجبت هي به.. فساوم صاحبها فبالغ واشتط في تقديره.. فقال لـه القرشي: والله ما لنا حاجة في جاريتك. ولمَّا همت الجارية لتنصرف أنشدت:

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلي ما تستطيع

فقال القرشي وقد استفزته الجارية: أفأنا لا أستطيع شرائك؟ والله لأشترينك بما بلغت.

فأجابت الجارية: فذلك والله أردتُ.

فقال القرشي: وهكذا استطعت وما عجزت.

---

[1] – البداية والنهاية لابن كثير.

الباب الثالث

طرائف الأعرابيات

تينٌ وورد

*وقيل لأعرابية ظريفة: ما بال شفتيك مشققة؟ فقالت: إن التين إذا حلا تشقق والورد يتشقق إذا مسَّه الندى[1].

ثواب وعقاب

*وقال الأصمعي: دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح، فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟ فقالت: اسمع يا هذا، لعلَّه أحسنْ فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فجعله عقوبتي[2].

حقيقة!

*وصاحب أعرابي امرأة فقال لها: والله إنك لمشرفة الأذنين، جاحظة العينين، ذات خلق متضائل يعجبك الباطل، إنْ شبعتِ بطرتِ، وإنْ جعتِ صخبتِ، وإنْ رأيتِ حُسْنا دفنته، وإنْ رأيتِ سيئا أذعته، تكرمين مَنْ حقرك وتحقرين مَنْ أكرمك.

إني من شخصك في جهاد

*وهجا أعرابي امرأته فقال:

يا بِكْرَ حوّاء من الأولاد   وأمَّ آلافِ من العباد

عمرك ممدود إلى التنادي   فحدثينا بحديثِ عاد[3]

والعهد من فرعون ذي الأوتاد   يا أقدم العالم في الميلاد

إني من شخصك في جهاد[4]

---

[1]- المرجع السابق.

[2]- الكبائر للذهبي ص ٢٠٦ .

[3]- عاد : قبيلة بائدة ورد ذكرها في القرآن الكريم .

[4]- العقد الفريد لابن عبد ربه .

ذهب الذي كان يصلح بيننا!

*وتزوَّج أعرابي امرأة، فطالت صحبتها له فتغير لها وقد طعنت في السن فقالت له: ألم تكن ترضى إذا غضبت وتعتب إذا عتبت وتشفق إذا أبيت؟ فما بالك الآن؟ قال: ذهب الذي كان يصلح بيننا.

قرين السوء باق معمر

*وقيل لأعرابي: كيف حبك لزوجتك؟ قال: ربما كنت معها في الفراش فمدت يدها إلي صدري فوددت والله أن آجُرَّة خرّت من السقف فقدّتْ يدها وضلعين من أضلاع صدري ثم أنشأ يقول:

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ولكن قرينُ السوء باق معمر
فيا ليتها صارت القبر عاجلا وعذبها فيه نكيرٌ ومنكرٌ

حمار وجُبّة

*قال الأصمعي: تزوّج أعرابي امرأة فآذته وافتدى منها بحمار وجُبّة، فقدم عليه ابن عم له من البادية فسأله عنها فقال:

خطبت إلى الشيطان للحيْن بنته فأَدخلها من شقوتي في حباليا
فأنقذني منها حماري وجبتي جزى الله خيرا جبتي وحماريا

أي ضرب تريدها؟

*وقال كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة فقيل له: أي ضرب تريدها؟ قال أريدها قصيرة جميلة فيأتي ولدها في جمالها وطولي، فتزوجها علي تلك الصفة، فجاء ولدها في قصرها وقبحه!

مَنْ أنعم عيشا؟

*قدم أعرابي من طيء[1] فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجعان فقالت له: من أنعم عيشا، أنحن أم بنو مروان؟ قال لها: بنو مروان أطيب منا طعاما، إلا أنا أردأ منهم كسوة؛ وهم أظهر منا نهارا إلا نحن أظهر منهم ليل.

ما صنعت؟

*وقال الأصمعي: خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان، فقيل له: ما صنعت؟ قال: خيرا كبها الله لوجهها ولو أُمر بي إلى السجن!

وُكلة تَكلة

*وقال الأصمعي: استشارت أعرابية في رجل تتزوجه فقيل لها: لا تفعلي فإنه وُكلة تُكلة، يأكل خلله أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل.

وقال أبو حاتم: هو الخلالة، ووكلة تكلة، إذا كان يكِل أمره إلى الناس ويتكل عليهم.

زوجنيه!

*وقال العتبي: خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى ابنتيه، وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها: ولِم؟ قالت: يوم عتاب، ويوم اكتئاب، يبلي فيما بين ذلك الشباب. قالت الصغرى: زوجنيه! قال علي ما سمعت من أختك؟ قالت: نعم، يوم تزين ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين.

أتفقدين من أبينا غيره!

*قال الأصمعي: هلك أعرابي، فأدمنت امرأته البكاء عليه، فقال بعض بنيها:

أتفقدين من أبينا غيرَهْ أتفقدين نعمه وخيْرَهْ

أراك ما تبكين إلا ... !

فأمسكت عن البكاء.

---

[1] - طيء: قبيلة عربية مشهورة.

عاقبة المعاصي

*عن الأصمعي: عن أبان بن تغلب قال: مررت بأعرابي له امرأة حسنة الوجـــه، وكان دميم الخلقة، وهو يعلوها ضرباً، فقلت له: أتضرب مثل هذا الوجه الحسن؟ فقالت: أصـــلحك الله إن له عذراً فدعه. قلت: وما هو؟ قالت: قمت إلى الله سيئتين فعاقبني عليهما بـــه، وقـــدم إليـــه حسنة فجزاه بي[1].

العجوز المتصابية

*وهذا أبو الروائد الأعرابي يرى امرأته تتصنع وتتصابى[2] وهى عجوز فيقول في ذلك:

عجوز ترجى أن تكون فتية وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر[3]

تدرس إلى العطار ميرة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر[4]

وما راعني إلا خضاب بكفها وكحل بعينيها وأثوابها الصفراء[5]

وزوجتها قبل المحاق بليلة فكان محاقا كله ذلك الشهر[6]

سبعة أيام

*وعن أبي زيد الكلابي: قدم رجل منا البصرة فتزوج امرأة، فلما دخـــل بهـــا وأُرخيـــت الستور، وأغلقت الأبواب عليه، ضجر الأعرابي وطالت ليلته، حتى إذا أصبح وأراد الخروج مُنـــع من ذلك وقيل له: لا ينبغي لك أن تخرج إلا بعد سبعة أيام فقال:

أقول وقد شدوا عليها حجابها ألا حبذ الأرواح والبلد الفقر

ألا حبذا سيفي ورحلي وتفرقي ولا حبذا منها الوشحان والشذر

أتوني بها قبل المحاق بليلة فكان محاقا كله ذلك الشهر

---

(1) بلاغات النساء، لابن طيفور ص١٨١.

(2) تتصاب : تحاول أن تظهر كأنها صبية.

(3) لحب: ضعف : احدودب : تقوس.

(4) العطار: بائع العقاقير. ميرة أهلها : ما ادخرته من أهلها.

(5) أراعني: أدهشني. خضاب : تلوين.

(6) المحاق: أخر الشهر القمري، أي وقد ذهب نور الهلال.

وما غرني إلا خضاب بكفها — وكحل بعينها وأثوابها الصُّفر

تسائلني عن نفسها هل أحبها — ألا لا والذي أمره الأمر

تفوح رياح المسك والعطر عندها — وأشهد عند الله ما ينفع الخطر[1]

طعن الكُلا

* وتزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوز ذات مال، فكان يصبر عليها لمالها، ثم ملّها وتركها، وكتبت إليه تسترده، فكتب إليها يقول:

ليس بيني وبين قيس عتاب — غير طعن الكُلا وضرب الرقاب

فكتبت إليه: إنه والله ما يريد قيس غير طعن الكُلا.

انكسر المفتاح وانسد الغلق

*قال علي بن عبد العزيز: كان أبو البيداء عنينا[2]، وكان يتجلد ويقول لقومه زوجوني امرأتين، فيُقال له: إن في واحدة كفاية، فيقول: أما لي فلا! فقالوا: نزوجك واحدة، فإن كفتك وإلا زوجناك أخرى.

فزوَّجوه أعرابية فلما دخل بها أقام معها أسبوعا، فلما كان في اليوم السابع أتوه، فقالوا له يا أبا البيداء: ما كان أمرك في اليوم الأول؟ قال: عظيم جدا. قالوا: ففي الثاني؟ قال: أجلّ وأعظم! قالوا: ففي الثالث؟ قال: لا تسألوا.

فأجابت المرأة من وراء الستر فقالت:

كان أبو البيداء ينزو في الوهق — حتى إذا أُدخل في بيت أبق[3]

فيه غزال حسنُ الدلِ خرق — مارسه حتى إذا أرفض العرق[4]

انكسر المفتاح وانسد الغلق

---

[1] – عيون الأخبار ج ٤ ص ٣٣ .

[2] – العنين : العاجز جنسيا .

[3] – أبق : هرب .

[4] – البدرة : كيس النقود

زواج شاعر

قال الأصمعي: مررتُ بالبادية على رأس بئر وإذا على رأسه جوارٍ، وإذا واحــدةٌ مــنهنّ كأنها البدر، فوقعت عليَّ الرَّعْدة[1]وقلت لها:

يا أحسن الناسِ إنساناً وأمْلَحَهُمْ

هل باشتكائي إليك الحبّ من باسِ

فبيّني لي بقولٍ غيرِ ذَي خُلْفٍ

أبالصَّريمة تمضي عنكِ أم ياسَ[2]؟

قال: فرفعت رأسها، وقالت لي: اخْسَأ. فوقع في قلبي مثل جمر الغضا[3]، فانصرفت عنهــا وأنا حزين. قال: ثمَّ رجعتُ إلى رأس البئر فإذا هي على رأس البئر، فقالت:

هلمّ نَمْحُ الذي قد كان أوّلُهُ

ونُحْدثُ الآن إقبالاً مِن الراسِ

حتَّى نكونَ ثبيراً في موّدتنا

مثل الذي يحتذي نَعْلاً بمقياس[4]

فانطلقت معها إلى أبيها فتزوّجها.

---

[1]- الرعدة: اضطراب الجسم من فزع أو حُمّى أو غيرهما.

[2]- الصريمة: العزيمة في الأمر، القطعية. ياس: يأس.

[3]- الغضا (الغضى): شجر خشبة من أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ.

[4]- ثبير: أعظم جبال مكة يقع بينها وبين عَرَفة. سُمّى ثيراً برجل من هُذَيل مات فى ذلك الجبل فعرف الجبل به. يحتذي نعلاً بمقياس: أي يختار ما يماثله.

* تاريخ بغداد للبغدادي ج١ ص ٣٢٧

فمُ الجراب

*وذكروا أن أعرابيا أتى عينا من ماء صاف في شهر رمضان، فشرب حتى روى، ثم أومأ بيده إلى السماء، فقال:

إني كنت قدرت الصيا   م فأعفنا من شهر آب
أو لا فإنا مفطرو   ن وصابرون علي العذاب

وخلا بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له، فقالت له قم خائبا! فقال الخائب: من فتح فم الجراب ولم يُكلْ له دقيق، فخجلت ولم ترد جوابا!

في انتظار سلمى

* قال الأصمعي: دخلت علي هارون الرشيد وبين يديه بدرة[1]، فقال: يا أصمعي إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه البدرة. قلت: نعم يا أمير المؤمنين. بينا أنا في صحارى الأعراب إذ أنا بأعرابي قاعد علي أجمة، قد احتملت الريح كساء فألقته علي الأجمة ، وهو عريان، فقلت: له يا أعرابي ما أجلسك ههنا علي هذه الحالة؟ فقال: جارية واعدتها يُقال لها سلمى، أنا منتظر لها. فقلت: وما يمنعك من أخذ كسائك؟ فقال: العجز يوقفني عن أخذه. فقلت له: فهل قلت في سلمى شيئا؟ قال: نعم. قلت له: أسمعني لله أبوك! قال: لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه عليّ! قال: فأخذته فألقيته عليه فأنشأ يقول:

لعل الله أن يأتي بسلمى   فيبطحها ويلقيني عليها
ويأتي بعد ذاك سحاب مزن   تطهرنا ولا نسعى إليها[2]

فاستضحك هارون حتى استلقى علي ظهره، وقال خذ البدرة لا بورك لك فيها.

عنتريس

*ونقل أبو حاتم عن الأصمعي قوله: خطب أعرابي امرأة، فقالت: سل عنى بني فلان وبنى فلان.

قال لها: وما علمهم بذلك؟

قالت: في كلهم نُكِحت[1]!

---

[1]- البدرة: كيس النقود.

[2]- المزن : جمع مزنة ، وهي السحاب الممطرة .

قال: أراك جلنْفعة قد خزمتك الخزائم[2].

قالت: لا ولكن جوَّالة، بالرحل عنتريس[3].

غض الطرْف

*ومرت أعرابية من بنى نمير فأداموا النظر إليها، فقالت: يا بنى نمير، والله مـــا أخـــذتم بواحدة من اثنتين، لا بقول الله: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم"[4]، ولا بقول جرير:

فغضّ الطرف إنك من نُمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا[5]

هل لك من قرين؟

*بينما كان الفضل بن الربيع وكان صبيحاً، مع الفرج الزحجى، وكان دميماً يأكلان معـــاً إذ هبطت عليهما أعرابية مليحة شاركتهما في الأكل.

فقالت الأعرابية: لا.

فقال لها: هل لك في قرين من أصحاب أمير المؤمنين وأشار إلى فرج؟

فقالت: جوابك عند الفراغ من الأكل، ولما فرغت قالت للفضل: أتقرأ شيئاً من كتاب الله؟

قال: نعم .

قالت: أفتؤمن به؟

قال: نعم.

قالت: فإن الله يقول: "ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا[(1)]" .

---

[1]– نُكحت: تزوجت.

[2]– الجلنفعة: المسنة، الخزائم: مفردها الخزامة، وهو ما يُجعل في أنوف الإبل، وهذه كناية عن الإذلال والتسخير، خزم : يقال لكل مثقوب (مخزوم).

[3]– تعنى أنها فتية ذات قوة وشدة كالناقة العنتريس، وهي الصلبة الوثيقة الشديدة. البيان والتبيين للجاحظ ج٢ ص ١٨٠.

[4] – سورة النور، الآية (٣٠).

[5]– عيون الأخبار ج٤ ص ٨٥ .

[(1)] تاريخ بغداد ج١٢ ص١٤٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج١ ص٢٦٣.

تعريف الذل

*قيل لأعرابية ما الذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدانيء، ثم لا يؤذن له، قيل: وما الشرف؟ قالت: عقد المنْن في أعناق الرجال[1].

بدوية فصيحة

*خرج الأصمعي ذات يوم فوجد جارية بدوية صغيرة السن معتدلة القامة، لا يتجاوز طولها خمسة أو ستة أشبار، تنشد الأبيات التالية:

استغفر الله لذنبي كله — قبلت إنسانا بغير حله

مثل الغزال ناعما في دله[1] — وانتصف الليل ولم أصله

فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؟

فقالت له: ويحك! أو يُعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين[٢]" .

ثم قالت: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين: أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين.

قال الأصمعي: فأعجبت بفهمها وإدراكها أكثر مما أعجبت بشعرها، فهي جارية بدوية صغيرة السن ولكنها واسعة العلم والفهم.

فأما الأمران اللذان جمعت بينهما الآية منهما: أرضعيه- ألقيه في اليم، وأما النهيان فهما: لا تخافي- لا تحزني، وأما الخبران فهما: أوحينا - خفت، وأما البشارتان، فهما: إنا رادوه إليك - جاعلوه من المرسلين[٣] .

هذا الذي ذهب بنا

**قال الأصمعي: أمَّ رجلٌ من الأعراب بيت إبراهيم بن هرمة.. فإذا بنت له صغيرة تعبث بالتراب والطين.*

فقال لها الأعرابي: ما فعل أبوك؟

---

[1] الكشكول ج١ ص٣٣٩.

[1] دله : دلاله.

[٢] سورة القصص، الآية (٧).

[٣] لطائف النساء ص ٨١ - ٨٢.

قالت البنت: وفد إلى بعض الجواد.. فما لنا به علم منذ مدة.

فقال لها: قولي لأمك تنحر لنا ناقة فنحن ومن معنا أضيافها.

قالت البنت: والله ما هي لنا في البيت.

فقال لها: فلتكن دجاجة.

قالت البنت: حتى والله ولا الدجاجة.

فقال الأعرابي: فلتكن بيضة.

قالت البنت: ومن أين البيضة إذا لم تكن الدجاجة؟

فقال الأعرابي: إذا بطل ما قال أبوك:

كم ناقة قد وجأت منحرها

بمستهل الشؤبوب أو جمل

لا أمنع العود النصال ولا

ابتاع إلا قريبة الأجل

فأجابت البنت: والله إنَّ هذا الكرم من أبى هو الذي ذهب إلى حيث ترى من القلة.

أمر الهوى

*قالت أعرابية لأعرابية مثلها: أما علمت يا أختاه أنك جعلت نفسك هدفا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأي ومن أُقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلَّط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم.

فقالت الأعرابية الأخرى: يا أختاه، أو ما علمت أنت أيضا أن الهوى ليس أمره إلى الرأي فيملكه، ولا إلى العقل فيدبره وهو أغلب قدرة وأمنع جانبا من أن ينفذ فيه رأي الحازم وهلا سمعت قول الشاعر:

ليست خطب الهوى بخطب يسير

لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأي

ولا بالقياس والتفكير

إنما الأمر في الهوى خطرات

محدثات الأمور بعد الأمور

الولد الصالح

*اختصمت أعرابية وزوجها إلى عدّي بن أبي أرطأة، فقالت: أصلح الله مولانا القاضي، إني أختصم زوجي هذا فقد حرمني ما أحلَّ الله لي.

فقال القاضي ابن أبي أرطأة: إني لأستح ان تذكري مثل هذا.

قالت: أني إنما أرغب أن أكون أما.. فعسى ربي أن يرزقني ولدا صالحا مثلك[1].

أيشربن نسائكم من هذا الشراب؟

*حدثنا ربعي الأنصاري: أن عجوزا من الأعراب جلست في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذا لهم. فسقوها قدحا فطابت نفسها وتبسمت. ثم سقوها قدحا آخر، فاحمر وجهها، وضحكت، فسقوها قدحا ثالثا. فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق، أيشربْن من هذا الشراب؟ فقالوا: نعم. فقالت: زَنيْن ورب الكعبة[2]!

---

[1]- شذرات الذهب ج١ ص١٢٤.

[2]- الحيوان للجاحظ ج٣ ص٢٩٣.

المصادر والمراجـــع

م النساء، الإمام أبى الفرج جمال الدين بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق زياد حمدان ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان ١٩٨٨ .

٢- أخبار النساء في العقد الفريد لابن عبد ربه، جمع وشرح عبد مهنا وسمير جابر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٦ .

٣- أخبار النساء في كتاب الأغاني، عبد الأمير مهنا، ط ا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

٤- أخبار النساء في التراث العربي، ابن الجوزي، تحقيق إيهاب كريم، ط ا، دار النديم، بيروت، لبنان، ١٩٩١،

٥- أدب الدنيا و الدين، الماوردي، تحقيق مصطفي السقا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، ١٩٥٥.

٦- أدب الكتاب، ابن قتيبة، تحقيق على فاعور، ط ا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

٧- أعلام النساء في عالمي العرب و الإسلام، عمر رضا كحال، ٥ج، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩.

٨- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت١٩٧٦م)، ٨ج، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤هـ .

٩- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦م)، ١٨ج، ٩مج، ط ا، دار إحياء التراث، بيروت .لبنان، ١٩٩٤.

١٠- ألف حكاية وحكاية (من الأدب العربي القديم)، حسين أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة القاهرة، ١٩٩٨.

١١- الأمالي، الإمام أبى على القالي، ط٢، دار الحديث للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ١٩٤٨.

١٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الإمام الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، تحقيق الشيخ خليل إبراهيم، ط٢، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٩١.

١٣- البداية و النهاية، ابن كثير، ١٤ج، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.

١٤- البيان و التبين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥.

١٥- تاريخ الأمم و الممالك، الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفاضل إبراهيم،ط٢، ١١ج، ١١مج، روائع التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١٦- تحقه العروس، محمود مهدي الإستنابولي، ط٦، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

١٧- تنبيه الغافلين، الليث السمرقندي، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

١٨- التيجان، وهب بن منبه، رواية بن هشام، حيدر أباد: ٣باد، ط ا، ١٣٧٤هـ.

١٩- الجواري، د. جبور عبد النور، ط٢، سلسلة إقرأ.٦ ، دار المعارف، القاهرة.
٢٠- الجواري و الحظايا، جمال بدران، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣.
٢١- الحب المثالي عند العرب، د. يوسف خليف، دار قباء للطباعة والنشر و الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٨.
٢٢- حياة الصحافة، محمد يوسف الكاندهلوى، تحقيق الشيخ نايف العباس و محمد علـى دولـة،ط٢، دار القلم، دمشق.سوريا، ١٩٨٣.
٢٣- الداء و الدواء، ابن القيم الجوزية، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة، ١٩٨٧.
٢٤- ذيل الأمالي و النوادر، الإمام أبى علي القالي، ط٢، دار الحديث للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
٢٥- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ١٩٩٣.
٢٦- روضة العقلاء و نزهة الفضلاء، الإمام أبى حاتم محمد، تحقيق محمد عبد الحميد و محمد عبد الرزاق حمزة و محمد حامد الفقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٧٧.
٢٧- روضة المحبين و نزهة المشتاقين، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
٢٨- رياض الصالحين، الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النوري، ط١، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان ١٩٨٥ .
٢٩- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبيان ١٩٨٨ .
٣٠- الزهد، حسن البصري، تحقيق د. محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث بالقـاهرة، ودار الوليد بجدة، السعودية.
٣١- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفي السباعي، ط٥، المكتب الإسلامي، دمـشق، سـوريا ١٩٨٠ .
٣٢- الشعر والشعراء (أو طبقات الشعراء)، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم أبـو محمـد (ت٢٧٦هـ)، تحقيق د. مفيد قميحه، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٥ .
٣٣- شهيرات نساء العرب والإسلام، محمد رفعت، ط١، مؤسسة عـز الـدين للطباعـة والنـشر، بيروت، لبنان ١٩٩٦ .
٣٤- صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفي ديب، ط١، دار ابن كثير، دمشق وبيروت ١٩٩٠ .
٣٥- طرائف النساء في التراث العربي، إيهاب كريم، ط١، دار النديم، بيروت، لبنان، ١٩٩١.
٣٦- طرائف النساء رضا ديب ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٠ .
٣٧- العروس المرغوبة، محي الدين محمد عبد الواحد، ط١، الرياض، ١٩٩٦ .
٣٨- العشاق الثلاثة، زكي مبارك، ط٢، سلسلة إقرأ ٢٦، دار المعارف القاهرة .
٣٩- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٧هـ)، ٦ ج ،تحقيق أحمد أمين وإبـراهيم الأبيـاري وعبد السلام هارون، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٩٩١ .

٤٠- عيون الأخبار، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم أبو محمد (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٦ .
٤١- فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام، القاهرة ١٩٩٤ .
٤٢- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان .
٤٣- قصص الحب العربية، عبد الحميد إبراهيم محمد، ط١، سلسلة إقرأ ٢٨٨، دار المعارف، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٨ .
٤٤- الكامل في التاريخ، ابن الأثير على بن محمد السيباني أبو الحسن، ١٤ج، ١٣مج، دار صادر، بيروت، لبنان ١٩٨٢ .
٤٥- الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس ابن المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان .
٤٦- كتاب الأذكياء ابن الجوزي، المكتبة الأموية، عمان، الأردن .
٤٧- كيد النساء (حكايات من ألف ليلة وليلة)، المركز العربي للنشر والتوزيع، الأسكندرية، بدون تاريخ .
٤٨- اللؤلؤ والمرجان، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٦.
٤٩- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت . لبنان ١٩٩٥ .
٥٠- مختار الأغاني، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بم منظور الأفريقي المصري (ت ٦٦٣٠ - ٧١١)، ط١، ١٢ج، ١٩٦٤ .
٥١- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ .
٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، ٤مج، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ .
٥٣- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهي المحلي، تحقيق عبد اللطيف سامر ودياب محمد خضر، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ .
٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان .
٥٥- مصارع العشاق للشيخ أبى محمد جعفر ابن أحمد الحسين السراج، القاهرة، مطبعة التقدم ١٩٠٧.
٥٦- معجم الشعراء، المرزباني أبي عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤) ط١ مكتبة القدس، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ .
٥٧- معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٤، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤ .

٥٨- مكارم الأخلاق، الإمام أبي بكر أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٩ .

٥٩- مواقف من حياة النساء، عماد حسن الشافعي، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٥ .

٦٠- موسوعة الزواج الإسلامي، الشيخ عبد الحميد كشك، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة .

٦١- نساء نزل فيهن قرآن، عبد العزيز الشناوي، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٢ .

٦٢- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

محتويات الجزء الرابع